

يرّ بي منها شذى مرسل
أسأله العودة ما أسأل

يمس في اذني صدى قبلة
يائسرها اين نأى المنهل

وكان لي روض على صدرها
يضحك في ارجائه الجدول

مفضوض غصن على سمرق
يجت على لآلئه الأغل

يرّ بي منها شذى لونه
وجدني بها او جها الاول

او رفة سكرى على هديها
ضائعة لدا تزل تسول

في غابته دكناه لم يغرها
ضوء ولم ينفق لها بابل

فيا شذاها بادرك للمني
والرغبة الخرساء والمأمل

عودك عود لزومي حلوة
وفي حواشيك غد نخل

شذى

لصاح الأسير

ابن خلدون ومطانه في تاريخ الفكر

بضم هـ راءين جبر

استاذ الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية

الواحدة والعشرين عين كاتب العلامة في البلاط التونسي ودخل في دور جديد من حياته ، ولكنه كان يطمح الى منصب اعلى فبا كادت الفتنة تقع في تونس حتى هجرها بجيسته وتحول الى سبتة وتزل على صاحبها ابن عيود فاستدعاء سلطان مراکش ونقله في اهل مجله الطلي واستعمله في كتابته . وما زال يرقى في علمه ومكانته حتى اوقع عليه عيون الحساد فكثير منافسه وكثرت السعايات به فخلص في مؤامرات السياسة حتى الركب . فرة يدس عليه ومرة يدس هو على غيره وثرة يقتل وطورا يطلق سراحه واوثرة يظهر اميرا واخرى يظهر خصم هذا الامير وحينما يقتل بلداً وحينما آخر يجره الى غيره وهو في كل هذا يعدل في مختلف المناصب السياسية والعلمية حتى دفعت به الاقدار الى الاندلس فحل غرناطة ضيفاً مكرماً على ملكها ابى عبد الله بن الاحمر ووزيره ابن الخطيب ، ثم اوفد الى ملك قشتالة المسيحي بمهمة من قبل ملكه فقام بها خير قيام ولكنه ما لبث ان عاد الى المغرب بدعوة من سلطانها فعين رئيساً للوزارة وظل يتقلب في المناصب العليا عند مختلف السلاطين والامراء . طيلة ايام الفتنة في تونس والمغرب والاندلس حتى انهى الدور الثاني من حياته ساعداً ثلاثاً وعشرين اخرى من سني عمره مقدماً بين وظائف العلم والسياسة يشبّط في مدرسة العالم الكبير بين عز المناصب وذل الاضطهاد والسناس حتى انتصبت السنون وعلمه الاختيار وهوها في الرابعة والاربعين في مطلع الدور الثالث من حياته يسام الزارات ويعزل المناصب وجره المدن قاصداً صبياً له من آل عريف فيتزل مع اهله وولده في قلعة لهم تخلياً عن مشاغل السياسة اربع سنوات بكاملها تنتق

في اواسط القرن الثالث للهجرة دخل الاندلس فيمن ترح اليها من الجزيرة العربية ايام الفتح رجل عربي حضرمي كندني يتسب الى وائل بن حجر من اقبال اليمن اسمه خالد بن عثان فقتل بقرموته ثم انتقلت أسرته الى اشيلية وعرفت بالآل خديون على طريقة الاندلسيين في الالقاب كعبدون وزيدون .

واصبح لهذه الأسرة في اشيلية سيادة وسلطان تقابلت في احضانها نحو اربعائة سنة ثم اخذت دعائم سلطانهم تتصدع واخذ نفوذ امراء قشتالة النصرى يقوى فجلا هؤلاء الخلالدة عن الاندلس كلها وتزلوا بتونس ، فخرجهم امراؤها ورتقوا الكثير منهم مناصب في البلاط والدواوين ونزع طائفة منهم في العلم والفقه والدين .

وفي غرة رمضان من سنة ٧٣٢ نقل الشيخ نبأ ولادة خديوني جديد سمى بعبد الرحمن وكني حين صار اباً بأبي زيد ولقب حين اصبح قاضياً للقضاة بولي الدين وعرف بعبد موته بابن خديون ، وهكذا فقد طعن اسمه على سائر آل خديون قبله وبعده واطاف الى ماثر أسرته - ملوك كندة - ماثره من مفاخر ما خلف العلماء قاطبة في علم الاجتماع والتاريخ فكانت اياه عني الشاعر حين قال :

والجد كندة والبنون هم فذكا البنون وأنجب الجد

ولد بتونس وبها نشأ وترعرع ، فدرس على ابيه محمد وغيره من علماء تلك المدينة اللغة والفقه والادب وبعض المنطق والفلسفة الى ان كان الطاعون الجارف فأت والداه وكثير من شيوخه وهو لا يزال في الثامنة عشرة فلم تصرفه هذه المحنة عن متابعة علمه والاتصال بن بيتي من شيوخه او بن وفد من العلماء على بلده وفي

فيها اكمل عبقريته فيضع مقدمته الشهيرة توشيتا من تاريخه الكبير، وهنا تشتد فيه التزمة للدرس والعلم فيعود الى تونس مسقط رأسه ويقضي اربع سنوات آخر بالتدريس والتأليف فينتقم عليه مفتي تونس ويؤجر صدر السلطان ويشعر ابن خلدون بالامر فيستأذن السلطان بالمهر متذرعاً بالحق فيأذن له دون اهل ويصدهم عن الملاحق به . فيصل الاسكندرية ويفوته المحل فينتقل الى القاهرة، هوذا في عاصمة العالم الاسلامي وقد سبقه اليها ذكر وصيت ، يفد عليه الطلبة من كل فج وحوب فيجلس في الازهر للتدريس ويقضي بامر الملك فيحسن القضاء ، وعادوه الحنين الى اهل وولده فاسترحم سلطان مصر ان يشفع لدى سلطان تونس بتسريحهم اليه فشفع لهم ثم ما لبث ان ثار عليه منافسوه وتأثروا عليه عند السلطان فتشكر عليه وعزله عن القضاء ، وانه لبي محنة والاقدار تكديده وتسخر منه اذ بنياً يضل بهيد ان السيفنة التي كانت تثقل اهل قد غرقت بين فيها جميعاً ، فقد كما قال المال والسعادة والدين .

وذكر الله فحج ثم عاد الى مصر ، وظهر تيمورلنك مهدداً الشام فسار اليه ابن خلدون مع وفد من علماء تونس لطلب نصيحتهم المدينية وحوصرت دمشق وانسل ابن خلدون سراً لوقاي تيمورلنك وقال اجازة وجواز منه ولكنه لم يفلح في عرضه وانتهت بالشام على ايدي التتر ثم صرفه الطاغية التتري الى مصر بقي فيها عاكفاً على الدرس والتأليف يرسل الادباء وترد اليه رسائلهم الى ان مات سنة ٨٠٨ وهو في حدود الخامسة والسبعين .

وهكذا فقد تقسدت حياته في رقة العالم الاسلامي الواسعة من اشبيلية الى مكة والشام فلس بنفسه حركات البربر فيها وضطت التثر عليها وهيجت ملوك النصارى ثياليسا وشهد المخذال امرائها وسلطانها واتقسام كلمتهم وفسادتهم ومؤامراتهم حين عصفت بهم رياح الاقدار .

وتفرقوا شيئاً فشكل جزيرة فيسا امير المؤمنين ومترج فكان له من هذا كله خير معلم وافضل اختبار ، وظهر اثره في هذه المقدمة التي وضعها لتاريخه الكبير وهي وحدها كتاب شامل كبير بنطوي القسم الاول منه على توطئة هامة في علم التاريخ وتحقيق مذاهبه او ان شئت قتل مصطلح التاريخ ويدور القسم الثاني وهو الاكبر على علم الاجتماع والعمران كما يسميه هوبسبت فيه اثر العمران في التاريخ وتأثير البيئة والاقليم في احوال المجتمع

ويعرض للتطور البشري في مختلف المراحل غير مهمل الالتفات الى بعض المشاكل الاقتصادية هذا حين كان العالم العربي بعيداً عن فهم هذه القضايا لا يكاد يفقه اكثر علمائه حتى معنى هذه الاسماء .

وقد وضع حين بحث غاية التاريخ ومذاهبه نظريات فذة صائبة يكاد يحار العلماء اليوم كيف استطاع مثله ان يتوصل اليها وقد حاول فيها ان ينحز بالتاريخ الى منهج جديد يخرج به اوصله اليه المؤرخون السابقون ولكنه مع الاسف لم يطبق هو نفسه هذه النظريات في تاريخه فتورط بشل ما تورط به اسلافه على ان هذا لا يمنع ان يكون تاريخه من خير المصادر العربية لاسيما فيما يتعلق باخبار البربر . وان يكون بحثه في مصطلح التاريخ او فقه التاريخ اذا شئت اجدر بمحاولة حتى زمنه وكذلك قل في نظرياته في علم الاجتماع والاقتصاد .

وليس من شك في ان علماء الحديث قبل ابن خلدون قد وضعوا لرواية الحديث شروطاً تنطبق الى حد كبير على التاريخ ولحسن احداً قبل ابن خلدون لم يضع شيئاً في مصطلح التاريخ ، وفلسفته وتقدم مذاهبه ، وليس من شك في ان بعض علماء العرب قد عرضوا بعض فقه العمران او الاجتماع ولكن احداً قبله لم يضع درساً وتالياً فيه ونظماً وافقة له وليس من شك في ان العرب قبله انتابوا الى بعض مشوون الاقتصاد ولكن احداً لم يتطرق بشل هذا العمق في التفكير الى الاسس الاقتصادية التي عرض لها ابن خلدون : انها لعبرة عربية فذة : « ونورغ عربي عظيم اماذا اقول ؟ لقد سبق ابن خلدون علماء العرب انفسهم في هذا المضمار وحسي شهادة المتخصصين منهم في هذا السبيل . خلوا مثلاً فلسفة التاريخ وانظروا ما كتبه في هذا الموضوع الاستاذ الانكليزي روبرت فلت في كتابه تاريخ فلسفة التاريخ : « وها انا انتقل كلامه كما عربه الاستاذ ساطع بك الحصري في كتابه الجديد القيم - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - قال فلت : « من وجهة علم التاريخ او فلسفة التاريخ يتجلى الادب العربي باسم من الملغ الاسماء - فسل العالم الكلاسيكي في القرون القديمة ولا العالم المسيحي في القرون الوسطى يستطيع ان يقدم اثماً يضاهي في لمعانه ذلك الاسم . » (١) « ان كل من يقرأ مقدمته باخلاص وتواضع لا يستطيع إلا ان يعترف بان حق ابن خلدون في ادعاء هذا الشرف - شرف التسمية باسم مؤسس علم التاريخ وفلسفة التاريخ اقوى واثبت من حق كل كاتب آخر

سبق فيكون» . (١) « ليس افلاطون ولا ارسطو ولا القديس
 اوغسطين بانندادله واما البية فلا يستحقون حتى الذكر بجانبه» . (٢)
 وقال : « لو عرف ابن خلدون المسلمين الكلاسيكي والمسيحي
 وبحت وعظم فيها ايضاً بين الاستئصال الفكري ونفوذ النظر
 لحاجات رسالته من اعظم واثن الرسائل في الادب العالمي
 وعلى كل حال فان الكتاب الذي تركه لنا من العظمة والاهمية
 ما يمكن للاحتفاظ باسمه وشهرته الى آخر الاجيال » . (٣) وقد
 علق الأستاذ على هذه الملاحظات بقوله : « ان صدور مثل هذه
 الكلمات التقديرية من المؤلف المشار اليه بالرغم من نزعة الدينية
 الشديدة يدل دلالة واضحة على شدة إعجابه بتقدمة ابن خلدون
 عند اطلاعه عليها بعد اكبابه على درس جميع المؤلفات التي تقوم
 -حول فلسفة التاريخ منذ بدء التفكير في العالم القديم حتى اواخر
 القرن الاخير» . (٤)

اما آراؤه الاقتصادية فقد عرض لها الدكتور صبحي المحمصاني
 بكتاباته القيم في الافرنسية - آراء ابن خلدون الاقتصادية -
 وأشار الى فضل ابن خلدون في هذا المضمار . وحينما اخذ المستشرقون
 يتعرفون الى آدابنا اصبح هامس « Hammer » ابن خلدون
 بمرتسكيو العرب او مونتسكيو الشرقي وبعثت هذه التسمية
 حتى ان رفاة بك الطهطاوي اشار في كتابه « تلخيص الابرز » الى
 تلخيص باريز « (٥) الى هذا القاب لابن خلدون ولم يفته ان يذكر
 ان بعضهم يلقب مونتسكيو نفسه « بابن خلدون الافريقي »
 وعندي انه كان الاولى ان يسمى مونتسكيو وحده بابن خلدون
 الافرنجي فان ادخال الاقتصاد في التاريخ والالتفات الى اهميته
 واثره في تطور المجتمع البشري قد وصل اليه ابن خلدون قبل
 مونتسكيو وغيره بعدة قرون .

بقي علم الاجتماع هذا العلم الحديث في نظر القريبين ، اجل ان
 القسم الاكثير من المقدمة يدور عليه فقد اسماء العبران البشري
 والاجتماع الانساني وذكر صلته بالتاريخ ولكنه اعتبره علماً
 مستقلاً بذاته ذا كبراً خواصه ونظفه عارضاً فيه طالات البسود
 واخضر ، مفنداً ما يعرض في العبران من عواض وعلل - من

- (١) ص ١٤١
- (٢) ص ١٤١
- (٣) ص ١٤٢
- (٤) ص ١٤٣
- (٥) ص ١٥٠

كسب الى صناعة وعلم وما يتجدد البشر منها باعلاهم ومسايعهم (١)
 بل كان تيارها غوراً بما يضيع . شاعراً انه يشكر شيئاً جديداً
 ويضع لاسماً لم جديد مستحدث الصيغة غريب اللغة غريب
 الفائدة ، فقال ولعمري لم تقف على الكلام في مناهه لاحد من
 الخليفة ، ما اديدي أفتاتهم عن ذلك وليس الظن بهم . او لمعلمهم
 كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصلنا (٢) . ولقد تابه علماء
 العرب ايضاً الى فضل ابن خلدون في هذا العلم « فتنشر تاتليل شيت
 الأستاذ في جامعة كورنيل في اميركا سنة ١٩٣٠ كسباً بعنوان
 (ابن خلدون مؤرخ واجتماعي وفلاسوف) قال فيه : ان ابن
 خلدون تقدم في علم الاجتماع الى حدود لم يصل اليها اوغوست كورت
 نفسه في النصف الاول من القرن التاسع عشر . ثم قال ان
 المفكرين الذين وضعوا اسس علم الاجتماع من جديد ، لو كانوا قد
 اطالعوا على مقدمة ابن خلدون في حينها ، فاستأنوا بالهائي التي
 كان قد اكتشفها والطرائق التي كان قد اوجدها ذلك العقري
 العربي قبلهم بدة طويلة لاستطاعوا ان يتقدموا بهذا العلم الجديد
 بسرعة اعظم مما تقدموا به فعلاً » (٣)

ومن الجدير ان نلاحظ ان ابن خلدون لم يهمل علاقة هذا العلم
 الذي اقتبسه بفروعه اللازمة من سياسة واقتصاد وغيرها من نواحي
 الحياة وعلى هذا النحو يفهم اليوم هذا العلم علماء الاجتماع .
 واود لو يوسع المجال لتحليل فضل ابن خلدون في التهذيب
 وعلم النفس فقد مارس حرفة التعليم ودرس كما لاحظنا في عدة
 مدارس منها الازهر ويعرض الى طرق التهذيب ونظفه المعروفة في
 زمنه وادلى بأراء ، في تضاعيف مقدمته تدل على انه عالم نفساني يفهم
 اسرار هذه الحرفة ولا بد ان يدرس تاريخ التهذيب عند العرب
 ان يراجع مقدمة ابن خلدون للاطلاع على رأي هذا العالم الجليل ،
 واود لو كان القلم يسمح لي الآن ان استعرض آراء المؤلفين فيه
 من عرب ومستعربين ولكن الغاية من كلامي هي التوجيه لا
 التعليم وحسي ان انبهكم الى قيمة هذا التراث العظيم .

عبر ائيل جبر

- (١) المقدمة - الطبعة المشككة سنة ١٩٠٠ ص ٣٥
- (٢) المقدمة : الطبعة المشككة سنة ١٩٠٠ ص ٣٨
- (٣) ص ٢١٤ و ص ٢١٥ من كتاب ساطع بك المصري

لقد أصبحت عبداً للناس منذ تصورت في البطن ، وتقيدت بسلاسل مشيتهم حين دفعت يدي
اول مرة نحو السماء . ضابقتي فضولهم منذ تحركت اول مرة في ذلك الزندان ، فتهافتوا على
والدتي ساعة عرفوا ان عددهم سيزداد واحداً . هذا يدلي برأي طي ورثه عن جد جده ، وتلك تشتر
نصائحها وإرشاداتها الصعبة ، وهكذا توالت العلاقات بيني وبين اصحاب وصاحبات المروءة . ارسلوا
إليّ نجدة تلو نجدة ليصفطوا حياتي الغالية فلا اذهب طارحاً وتحسر الانسانية ولامداً ، ليتم لي يمكن .

وبعد الآلام استمرت ثلاثة ايام غير كاملة ولدت اخيراً . . . ولو عرفت ان نساء القرية في انتظارني واني
سأعرض عليهن مرة واحدة لمربت ، ولكن ، اين المهر ؟ ما أرسلت اول صرخة حسني وقمت عليّ
ميوهن وامتدت اليّ ايديهن . كل واحدة تحاول ان تستلم الحبر الأسود . . . كان معرض قصير الامد
عقب النقد المر . هذه تروني وتقلب شفتي السفلي ، وتلك تنظر الى التي حدها رافعة حاجبها وجعنيها
الى العلاء ، واخرى تميز بعينيها ، وواحدة تقرص جارتها قرصة خفية . هاتيك تقول : دميم ، وتلك
تقول : مليح ، وتجر اليها ، وتقطع الحاء ، واخرى تقول : بشع ولكن بشاعته حاوة . . . وغيرها تقول
جبراً لحاظرة الولادة : الولد يتغير ويتقلب ، متبجلة لي العذر كأنني انا افرت نفسي في القالب الذي يعجز
لم تقل : اسم الله حوله وحواليه ، يئزي العين عنه الا واحدة فقط تعرفون من هي . هذه امتلاً أرا
ضحكاً وقلبا فرحاً ، وحشي صدرها رجاء . وأملأ ، وكيف لا ، أما صادت أما ؟

الناس

وتعددت الذنور الى قديسين وقديسات وسيدات اختصاصات فلم ينفعني الا سيدة « المكبرسين »
فاستربت على قديمي . تحنّت هذه السيدة على الولادة فشي ابنها « المكبروس » مشية الجواد المشكور
ولكنه رأى حوله سوداً من الناس اطول من سود الصين ، سوداً لا يفر منه الا ليصلطم بجدرانها ، إن
يفطن انه أظلم من محيطاته اذا هو فيه ، فكأنه عن غير قاي .
الناس ، وما أشد اضطر الناس ، وهذا يجري في تلك توشيتي ، هو ذاك يرشديني ، فكيفما اتجهت
اضايقيهم وبضايقتي . كأنني ابتم جميعاً بركابهم كلهم اولياء عليّ .

وازداد تقيدي بالناس لما صرت انهم عن ابي واممي . ان تحركت قال الوالد : يا امرأة ، دني ابنك
مثل الناس . وإذا توحشت قالت هي : اللبس ثيابك مثل الناس . اصنع هذا فلا تأخذ ولا اصلي . ويملو
صياحي وضجيجي فتصرخ بي : اصنع من الناس . والتفت فلا أرى حولي احداً غيرها ، فأرفع عقيرتي
هاتفاً : وأين الناس يا أمي ؟ فتقول لي : لا ترفع صوتك ، انا طرشاء ، احك مثل البشر . وإذا تراصت
في مشية مدفوعاً ببق الصورة صاحت : امش مثل الناس يا صبي ، واخيراً انتهيتي فأركض وتركض
خلفي تعجبها خفتي فتفزع ضاحكة فتصيح بها جارتنا العنيفة : عافاك يام مارون اضحكي له اضحكي ، ديمع
الناس . اما الوالد ، رحمه الله على ترويه ، فكان له ادائن يسبكني بواسطتها في قالب الناس . قضيب
ولسان كالقضيب ، اذا تحركت في مقعدي وقف حاجبا على سلاحها استعداداً للآواري . ثم يصيح في
اقدع مثل الناس . وان ترغت صباحاً ، وصوتي دهم كما تعرفون ، انتهتني قائلاً : سبح ربك مثل الناس
بهم انت ، لا صلاة ولا صليب ؟ وإن مددت يدي الى الزاد قبلهم ، او كبرت اقتبي انتهتني بقوله :
كل مثل الناس . واذا ضحكك ضحكة است على الوزن والقافية المقروصين قسالي : يا اضحك مثل
الناس ، و كثيراً ما كان ينهاني عن الضحك عملاً بلادة المشهورة من قانون آداب المجالس ضحك بلا عجب من
قلة الادب . هكذا كانت كلمة الناس حملاً ثقيلاً على ظهري وشريطاً شائكاً في طريقي . اصطلمت به اربنا
اتجهت ، فنشأت عبداً للناس يسيطرون عليّ . ويسيروني كما تشاء اهرأهم وعرفهم وتآليدهم ، كأنني
لا أعيش لنفسي بل لهم ، كأنني مرتبط بهم بناموس اشد من ناموس الجاذبية ، لا يحول ولا يؤول . ولو

بظم مارووه عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه

مات أحد الاجرام كالقمر مثلاً . كلما قلت احطام هذه السلسلة التي يسمونها الناس اجدني مقيداً بها من جديد ، انها لاغرب من اساطير الف ليلة وليلة

اجل ان كلمة الناس أثقل عبء يلقى على ظهور الناس . فمن منا لا يستجدي اعجابهم ؟ ولم يكن من يحمل نفسه فوق طاقاتها ليتفهم بظهور يرضهم ويلفت انتظامهم اليه فيقضي العمر وشح الهمة عاشيه كظله ، يأكل معه في صحنه ، وينام معه في فراشه . ومن امرأة خربت بيتها لتكون على حد قولها مثل الناس ولا بأس . اتهموا مخاطب زوجها : ماذا يقول عنا الناس اذا رأوا بنظرونك مرفوفاً ؟ اشتر غيره ، وماذا يقول عنا البشر اذا جاء العيد وليس لابننا طقم جديد ولبنتنا فستان من اجنث طراز ، وماذا يقول عنا الناس اذا لم نشتر كذا وكذا ولم نأكل كذا وكذا ، ولم نغسل *Soirée* - *Mipi* - *Après* . وهكذا تنقل تقول الناس حتى تدك لبيت من الاساس .

غريبة كلمة الناس ، ما اعظم سلطانها على العقول . لا اقول للناس بلا . الناس كما يقولون ولكنني اقول للناس تسير الناس وليس احد منا حراً في ذاته فمن يزعم انه لا يبالي بهم يتجذع نفسه ، انه اشدنا تهاقلاً عليهم ، ومن حسب انه مطيع فهو احد تلاميذ مدرستهم ، ان شاءوا منحوه الشهادة بالمعيار والآخر عاد محترق القواد يردد : ما اصعب مرضاة الناس .

ان كلمة الناس نفاذ منصوب في مثانة الانسانية لترد عنها العالاب ، وهي الخفير الدائم على ابواب كهوف التقاليد ، حالت وتحول دون ردائل كثيرة ما كنا نتأهبها لولا آعين الناس ، واقتصرنا نظراً من ظن انه يتغلب على الناس بغير الناس ، في كل عبقرية اثر من عبودية الناس ، فانا وانث وهو جميعنا عبيد الناس ولا نحيا الا بهم . فهل ألوم أبي وامي اذا كانت كلمة الناس نجمة القطب عندهما يراعياها في بحر الحياة خوفاً من التيهو السقوط في الابهة .

ففي خلوتنا انفسنا نسمع ضجيج الناس الصاخب ، وفي عزلةنا نحس انهم حولنا يتحركون في غيلتنا جولان اشباح القوعاء على الشاشة البيضاء . كانوا في انتظار في عند المهد وسيجدون قاربي ليلبع ميناء الاعداء ، وان حسبت يومذاك اني نجوت منهم لاني نمت عنهم فشا بهم ستلحقني الى بحر القلابات .

كل امرئ رهن غريبه ، سينصرون ميزانهم ساعة ينفضون يدهم من ترائي ، ويأوليتي ان شئت في ذلك الميزان . فان كنت تحب السنة الخلق وتحب انما اقلام الحق تاعمل بالمثل القاتل : كل ما تشتهيه نفسك ، والبس ما يعجب الناس ، ومعناه وقوف الدولاب ، وليس هذا من تواميس الطبيعة ، فهي لا ترفع عرشاً الا لتجعله شعله لاحد في رات اليوم الثامن . قد تقول وما هو اليوم الثامن ؟ اسمع فأعرفك بهذا المخلوق الجديد : في ستة ايام خلق ربك المبالوات والارض وفي اليوم السابع استراح الجبار وتنفس الصعداء . اما اليوم الثامن فهو يوم الناس . يوم صباحه الازل ومشاؤه الابد ، لا يصكون مساء حتى تحبل الارادة الانسانية وتلد الصباغ . اليوم الثامن جهة سرمدية لا تهدأ جنوده ولا ينفد عنادها . تنفض صواعق الايام السبعة فتقتل حماراً او ترزع جداراً ، وتطيط صواعق اليوم الثامن فيغير المسكن طوقان النار والماء . لم يسترح ربك الا لانه خلق عاملاً على صورته ومثاله ، فسيحانه في ملكه فهو الذي جعل كلمة « الناس » قوامة على الناس ، فدع المطق وذو القياس ، فانفرض لازم حلل العضلات وادراك المجبولات .

مارونه عبود - عابيه

كتمان

•

أحبك بالسر لا أدعي ،
أموت ويدفن سرّي معي .
وكلّ الحكايا التي بيننا توت كذلك في مسمعي .

* *

وسكراتنا الموح حتى الجنون
تظلّ - على السكر - ملي التنون
وكاساتنا سأحطبها - وأخفي الحطام عن الشارين .

ARCHIVE

<http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com>

وشامات جسمك ونيّ القبل
تظلّ بسرّ اليايى الأول
ليالٍ تلتلف عريك ، غبّ ازلوا الشفاء وغبّ الملل .

* *

سألتك بالحب هذا ، الدفين
دعيه دفيناً ، ولا تذكريني
فيبقى كلانا ، على الدهر سرّاً ، كأن لم أكن وكأن لم تكوني

غطر من الرامي

١٤ تموز عيد الحرية

بفلم باب غولبد

١٤ تموز ١٧٨٩

تراكض ليشهد المعركة . وقد صوّتت العربات في الساحة الملكية ومن هناك ذهب الناس شيئاً على الاقدام الى مراكز الاستطلاع . وكان يحتشد جمود غسفي في جادة سانت انطوان . والمستشار العتيق بلسكيه كان يرافق المسئلة الشهيرة الانسة كونتا . لم يكن بالإمكان مشاهدة ميدان المترك جلياً ، غير انه كان يتراى بعض الاشياخ من حيوات الاسوار
وقد ذكّر ذلك النهار كان الملك لويس السادس عشر في الصيد . وقد دون في مذكرته اليومية الخاصة : ١٤ تموز : لا شيء . .
يبد ان علماً جديداً قد ولد .

يوم الثلاثاء ، ١٤ تموز ١٧٨٩ لمرة فقرة حاسمة ليس في تاريخ ان فرنسا فحسب بل في تاريخ الإنسانية ايضاً . ان الاحداث التي دارت ، ذلك النهار في باريس كان لها عدا امميتها القاتية ، قضية رمزية : فالشعب ، وقد شغف بالحرية ، اتهم الباسليل ، وهي قامة قديمة يرجع عهدها الى القرن الخامس عشر ، ممتية الجواب ، تحت طائلة ثلاث مئة سنة فوق العاصمة ، كايوساً مقياً ابداً ورمزاً للاستبدادية الملكية .

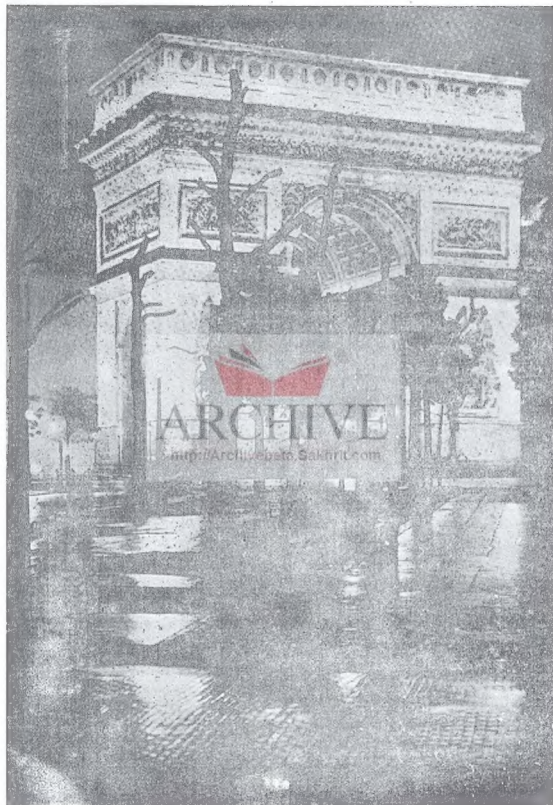
١٤ تموز ١٧٩٠

لم يكن لفرنسا ، عهد النظام القديم ، من وحدة سوى تلك الرابطة التي كانت تشد مختلف المقاطعات الى شخص الملك . فكان من ابرز ما في الثورة ان احلت محل احترام الملك الشعور الوطني ، اي خلق الواتنية العصرية .

يوم ١٤ تموز ١٧٩٠ احتفل ، بابهة كبرى ، بالاتحاد الوطني لجميع المقاطعات التي اُتف بينهما بديداً ، حب الحرية والمساواة .
لقد جرت يومذاك اجمل المظاهرات الثورية واشدها حماسة .
وحصلت في الشان د مارس ، وقد حولها آلاف العمال الى سرادق

ان ليلة ١٣ الى ١٤ تموز كانت فاجعة . الاجراس تترع . والشعب المحتاج ، حيال اقالة لويس السادس عشر الوزير نيكيد ، يشحن السلاح . وذكر احد مؤرخي تلك الفترة ان « المطارق تضرب ، والحديد يصد ويحني . وكل الادوات النحاسية تصبح ذات قبضات » . يقتحمون ابواب مستودعات السلاح : الاردينال والانفليد . وينهبون حوائث الاسلحة ، ان سقوط القلعة كان ابعد من ان يصدق . عند الساعة الحادية عشر صباحاً ، وبعد طلقات نارية معدودة ، بدأت المفاوضات . واستؤنف اطلاق النار حوالي الساعة الواحدة والنصف . وعند الساعة الخامسة سقطت الباسليل . لم تبد القلعة دفاعاً حقيقياً : فالجنود كانوا ضحاً ، متضايين مع الشعب ، كما اوضح ذلك رومان رولان في كتاب وضعه خاصة عسن ١٤ تموز . ومن اطرف المظاهر الباريسية ، هو ان الجمهور

ينزل الرسم في الصفحة المقابلة
قوس النصر في باريس



السادس .

ولكن حيال هذه الاحتفالات الرسمية التي لا تزال الطبقة المتكسفة تتكلف دونها الحذر ، تجري لمناسبات ١٤ تموز اعياد شعبية . في كل مدينة وفي كل دسكرة تزدهر المنازل بالأعلام وفي الليل ترقص الشوارع والسوح العامة بن فيها ببادة بدسبية . وتضاء الانوار الاخاذة طيلة ذلك اليوم ليل نهار . وفي باريس مثلاً ، في كل حي ، وبخاصة ، في حي الباستيل يرقصون على انغام تنسرب من هنا ومن هنا . والاضواء التي تشرق حجب الليل تنطلق من برك مونسوري ويوت شومون وساحة دوفين القائمة على طرف الجزيرة الباريسية . مشهد لا يثل الجن ادوع منه : ضفاف نهر السين تلتهب بالنف جذوة ساطعة ومياهه الحاملة تلتسع بالنف لون عجيب .

ويوم ١٤ تموز ، اكثر الاعياد الوطنية شعبية واجزلاً ديقوقراطية يشعر الفرنسيون ، الى كلوا ، بعد دلتان المتطرية الفاشستية ، يشعرون بغيرة حين تجتساحهم وتنفذ حتى الصميم . والوطن المزدان بالأعلام المثلثة الالوان والمستحم بالليالي الناعمة المزركشة بأغرب الاضواء ، ذلك الوطن يسدو الى قلوبهم احب .

والفرنسيون الذين تحلوهم ذكرى مجد ١٤ تموز ، تموز ١٩١٩ الذي شهد جور وفوش يقودان دفقة الجيوش الفافرة الى قوس النصر وسط هتافات تشق الجوى ، ان الفرنسيين هؤلاء يوقنون ١٤ تموز قريباً تجتاز فيه جيوش الحرية هي ايضاً ، شوارع باريس المتأهبة من الظلم والحيانة . والزم الذي لم يقنط ابداً سيستعرض على متن عربة قتال جفافل الجيش الفرنسي التي على انغام المارسيلاز الحاملة .

جانب غربي

فسيح . وفي وسط هذا الساح الشاسع ، الحاط براق المشب ، قام هيكل الوطن حيث احتفل استنفاتون بقداس صارخ امام ٤٠٠٠٠ مستمع تهاوتوا وفوداً من جميع مقاطعات فرنسا . وكانت كلم مقاطعة قد ارسلت تمثيلاً ويوتيا . وبعد القداس برك الاسقف البيارق الثلاثة والثلاثين ثم تقدم لافانيت باسم الحرس الوطني ورئيس المجلس باسم جميع النواب واتصبا بين الاخلاص للدستور . وقد شارك الملك لويس السادس عشر والملكة وولي العهد ، الشعب في حماسه ولم تكد يوماً تدفقه مثلاً في ذلك النهار . وكان يجتاح الجوع شعور طاري طر اوة الربيع ويمنح كالمارسيلاز تحق لها خفقة واحدة قلوب فرنسا .

١٤ تموز في القرن التاسع عشر

في عهد الامبراطورية ثم في عهد إعادة «الملكية» وفي عهد «ملكية تموز» والامبراطورية الثانية ، لم يحتفل ، طلياً ، بعيد ١٤ تموز . وقد اختار البونابرتيون عيداً وطنياً يوم ١٥ آب وهو عيد القديس نابليون ، وعاد البوريون الى الاحتفال بالاعياد الكاثوليكية .

وسنة ١٨٩٧ اختار الجمهوريون ١٤ تموز عيداً وطنياً في عهد رئاسة جول غريبي .

ولقد صوت المجلسان على هذا القرار ، تحت انف المصافطين

والملكيين على اختلاف الواجه ، ومكان في ذلك نصر حاسم للجمهورية على الرجعية .

وابتداءً من سنة ١٨٨٠ كان ١٤ تموز في كل سنة موضوعاً لمظاهرات رسمية ، وبخاصة لاستعراضات عسكرية . وحتى حرب ١٩١٤ كان يستعرض الجيوش رئيس الجمهورية بباريس في ميدان لونشان . وبعد الحرب العالمية كان الاستعراض يجري عادة في شارع الشاتيلوازه . وآخر استعراض كان استعراض ١٤ تموز ١٩٣٩ الخالد الذكري اذ كانت الجماهير الغفيرة تهتف بجملة بحومة للجيوش الفرنسية التي كانت ترم امام الرئيس لوبان وامام الملك جورج



شارل دي غول

الطب عبر العصور

نظم الدكتور غنيم منج

مدرس في القسم الطبي في جامعة بيروت الاميركية

غير طبيعى، وما اكثرت هذه الفكرة بفكرتنا الحديثة عن الجراثيم وعلاقتها بالمرض . وقد اعتمد المصريون كثيراً على السحر في المداواة ولكنهم ادخلوا بعض الادوية النباتية والمعدنية وذلك حوالي ١٥٠٠ ق.م. واشتهرت مصر بالاختصاصيين في القرن الخامس ق.م. وصرفت جهود عظيمة في درس علم الوقاية فوصل علم الصحة عندهم آنذاك الى مستوى عال جداً فصدرت شريعتهم قوانين صحية تشمل ما يخص الفرد والبيت والمدينة كأحدث ما لدينا اليوم . ومن اهم رسالات الطب البابلي شريعة هامورابي المعروفة ويرجع تاريخها الى القرن ٢٠ ق.م. وهي مجموعة قديمة من الشرائع المدنية والدينية ومغطى يتعلق بالمهنة الطبية .

وانتهى علم الطب في هذا العهد الى اليونان فتعرفوا الى الطبيعة ودرسوها ونجشوا عن جوهر الامور فوضعوا اساساً متيناً للعلم وسجلوا في صفحات سجل الانسانية الثابت خدمة اعطاهم التاريخ ما ما تستحق وقد انبثق الطب عند اليونانيين من الفلسفة والدين . ولا يمكن ان نبحث عن الطب اليوناني الا ونلج على ذكر « ابقراط » « اب الطب » الذي ولد سنة ٤٦٠ ق.م. في عصر كان للفلسفة فيه المقام الاول . ولسمي انا ما قاله كليمبرته في الاسم الطبي الاقراطى هو احسن وصف له اذ قال انه « اعلى المثل في الانسانية وتاريخ الدين » وقال الثرت موراي بهذا الصدد ان التعريض على خدمة الانسانية عند اليونان كان اشد وبرز ما هو عليه في صغرها هذا فاسروا رجل ادب او رجل علم الا وسألوا عنه « ايدأب على انشاء رجال اهل » وهل يعمل لجل الحياة أسعد وافر ؟ فتعلم الاعلى رفح مستوى الانسانية وتحسين الحياة .

وحرر اليونان الطب من الوهم والسحر وشيدوه على اساس الدرس والتجريب والملاحظات الصحية فجازوا على معلومات قيمة في الكريح وعلم الجنين وعلي النبات والحيوان والفسيولوجيا . وفي سنة ٣٠٠ ق.م. اسسوا مدرسة طبية في الاسكندرية بلغت المختبرات والمكاتب والمستشفيات فيها درجة عالية من الانسان والتجريب والدقة لول ابرز صفحة في الطب اليوناني كريح الانسان ميتاً ودرس الحيوان حياً فكان ان ولجوا بذلك باباً من ابواب علم الطب .

انتهى العصر اليوناني الزاهر وانتفض الطب القديم واطلت الصور الوسطى، الصور المظلمة في أوروبا . فانحطت المدينة توسعت اضواء العلم لدرجة الانطفاء . فنبط المعروف وطنى الجهل وهبت دريح الفساد فكان الضف والوهن بين الناس . وبعد

قال المؤرخ الطبي جورج سادون : الوطني الحقيقي هو الذي يفهم جيداً تاريخ بلاده ، ولا يستطيع العالم ان يقوم بواجباته نحو علمه الا اذا عرف تاريخ ما اخص به وكيفية نشوئه . فقد نشأ علم الطب من هطف الانسان على الانسان ومن الرغبة لمساعدة قوي احاجة والمرضى او من ابتلوا بالاحزان . فلا نجد هيئة اجتماعية ، معها كانت عليه من التأخر والاضطراب ، الا وقد حيك بكنائسها نوع من مظاهر التطبيب فاصح هذا مع مرور الزمن عضواً حياً في نظامها . ولقد تلقى الانسان القديم دروسه الاولى في التطبيب بالاختبار عن طريق ما اصابه من الاضرار والالام وتبدى الحيوانات المفترسة ، فترت عليه اجيال عديدة احتلوا اماكن الامم السحيطة حتى ان تمكنت عقلية الضعيفة ومنقرضه المحنوعة من تقدير الاحوار وفهم الوضيات واخذ الاحتياط لدرء الاضرار وتخفيف الالام . فباتت تجربة والاختبار فهم الانسان العلاقة بين السبب والنتيجة وعرف كيف يساعد المريض ثم تجبعت اختباره هذه رويداً رويداً ونظمت لمعرفة استخدمها صاحبها لاسعاد الانسان واصلاحه .

ولم يكن الطب في العصور الماضية اذخياً في تقدمه لثقافة والفنون الجليلة بل بقي لاحقاً بها حتى اواسط القرن التاسع عشر حيث انجبت الافكار نحو دراسة العلوم الطبيعية فاستخدمت الجهود لدراسة قامت على التجربة والاختبار فكانت « العقلة العقلية » التي على اثرها دخل علم الطب في طوره الجديد . فيقيم الطب اذاً من الوجهة التاريخية الى ثلاثة اقسام :

١) الطب القديم ٢) والطب المتوسط ٣) والطب الحديث ويشمل عهد الطب القديم : الطب المصري ، والطب البابلي ، والطب اليوناني .

فامتاز الطب المصري باندماج الطب مع الدين والاعتقاد ان ما يسبب المرض والموت قوة خفية خفية يمكن تجنبها ، لانا شي .

ان فاض سيل العلم مدة نصف والف سنة في سهل المدينة اليونانية
المنسية ابتدأ يتخلص ويضع في فوهات الصور الوسطى
ولكنه لحسن الخطأ بقيت منه بعض الفروع الضئيلة التي استمر
سيلها حتى الصور الوسطى . ومن هذه الفروع الطب البيزنطي
الذي نقل الطب اليوناني الى الصور الحديثة عن طريق الامبراطورية
الشرقية . انما اهم هذه الفروع على الاطلاق الطب العربي . كتب
لاكلارك فقال : ان العالم شاهد ما اثار اشد اعجابه وتقديره
واحترامه مرة واحدة في التاريخ ، وذلك في القرن التاسع حينما
انتهى العرب من تأسيس ملكهم الشامية وتثبيتها فانكبوا
بطائبتهم على اكتساب العلم الضعيف في كيان عظمتهم .
ففي ختام القرن الثامن الميلادي كان كل ما في حوزة العرب من
العلوم ترجمة مؤلف في الطب وبضعة كتب في علم الكيمياء ولكن
ما كاد القرن التاسع يتقارب الا انتهى . حتى كان العرب قد امتلكوا
ناصية كل العلوم اليونانية وتضافه الاقدمين ونبع منهم عدد عظيم
من العلماء والمؤلفين . فبينهم « الرازي » امام المؤلفين في الطب ويد
في درجة ابقرط . كان شديد الملاحظة دقيق المشاهدات
والتيار . درس الرازي في مستشفى بغداد العظيم في اواسط
القرن التاسع وقدم للطب مؤلفات عديدة . فيقوله ربح الفضل
في التفريق بين الجدري والحصبة .

واعظم طبيب عربي عرف في القرون الوسطى الشيخ الرئيس
ابن سينا . بلغت به العلوم العربية قمة مجدها وكان مؤلفاته تأتبعها
العالم في اوربا . ولد ابن سينا سنة ٩٨٠ ب . م . ومن اهم مؤلفاته
« القانون » الذي كان بمثابة « فزاة لعلم » وقد بقي هذا المؤلف
زمناً طويلاً المرجع الاخير وكان يدرس في اوربا باعتباره اهم جزء
في مناهج الدراسة الطبية وقد فاق ابن سينا كلا من ارسطو
وجالينوس في دقة المناقشة والبحث

وتسرب الطب العربي الى المغرب بواسطة الصليبيين وعن طريق
اسبانيا . وكتب داوسن في كتابه تولى الطب قال : ان المدينة
الاوربية او الاخرى المدينة الغربية كلها مدينة للعرب جميعات
حكمة الاقدمين . وقد غرر القرن الثالث عشر بظهور الجامعات
ومنها جامعة « مونباليا » التي يرجع سبب شهرتها ونجاحها الى قربها
من الحدود الاسبانية حيث كان التفوذ العربي قوياً . اشتهر العرب
بنشاطهم وحماستهم ووفرة معرفتهم ومواردهم في طرق الملاحظة
وكانت اكثر ادويتهم من النباتات وقد ادخلوا عدداً معاً جداً من

الادوية المعدنية الى الصيدلة . وقد كتب احد المؤرخين فقال : ان
اعظم مغفرة في القديم ترجع للبرغ اليوناني واعظم مغفرة في العصور
الوسطى ترجع للبرغ العربي . وزاد على ذلك فقال ان افيد ما كتب
واعظم ما ابتكر واتضح ما عرف يرجع الى العرب . فن القرن
الثامن الى الحادي عشر كانت اللغة العربية لغة المدينة وارتقى لغة
يتداولها بنو الانسان فكان على كل من اراد التعمق بالعلوم ان
يتقن اللغة العربية : لغة العلم والثقافة .

وان اشهر بعض مؤرخي العصور الوسطى فكرة مفلوحة
ومشوهة عن حالة العلم في ذلك العصر فذلك لانهم حصروا اهتمامهم
ومعرفتهم بمجالة التريب وتمازوا عن كل ما يتعلق بالشرق . فبينما كان
التريب يتخبط في دبابير الجهل والاضطراب في تلك العصور كان
الشرق قد امتلأ اوج المجد والرفي . فقام ابتداءه بالمال هي حتى
وقتنا هذا موضع حشة العالم كله . ومنهم الرازي والغرابي وابن
الجزار وابن سينا والغزالي . . .

لا يزال كثير من اهل العلم يعتقد ان هارفي هو الذي
كشف الدورة الدموية ودرس حقيقتها في اواسط القرن
السادس عشر . ان دراسة صفحات التاريخ المهمة كشفت القناع
عن حقيقة تعني ان **هارفي ابن نفيس** الذي عاش في القرن الثالث
عشر « اي حوالي اربعة قرون قبل هارفي » هو اول من شرح
الدورة الدموية . وابن نفيس كان عيسد مستشفى المنصورة في
القاهرة وقد درس الطب في الشام .

ان درس التاريخ يوضح تماماً ان صرح العلم لم يكن الا على
التضحيات النارية وعلى تسكران الذات وكل هذا يحتاج لاقصى
حد من النجاعة الادبية والفنية والفكرية . فكلم من الذين
لم يبقوا عند حد التضحية المادية بل عرضوا بارواحهم واسترضوها
ليسبحوا العدالة والحق والعلم .

ولترجع قبل ان نتبع لنفسنا التبعج بما وصلنا اليه من رقي
العلم وعن المعرفة في هذا العصر الى ما قال نيوتن وهو على فراش
الموت : « لا اعلم تماماً كيف ينظر العالم الي ولكن انا اعرف نفسي
فا انا لا اكون صريح بل على الشاطي . مأخوذاً بظهور الاصداف
الجميلة ينابتد ويمتد امامي اوقيانوس عظيم من الحقيقة التي لم
ادركها ولا ازال اجعلها . »

عفيف مفرج

● النور الروحي عند هكسلي ●

والولايات المتحدة لاطاعة طيبة ولتقاصد نذلة كان بإمكان الناس من ذوي الرصانة والحكمة الاستفادة منها لحقق تقايم دولي عام يكون أساساً وطيداً لسلام العالمي ، ولكننا نعلم ان الفرصة لم تثمر وان البادية الطيبة لم تستغل . وازدادت الحال سوءاً عام ١٩٢٩ فقدد الناس تلك الروح التي كانت ترحي خطاهم ، روح خلق عالم احسن وأتم ، وهزأ الصكثيون بالنيات الطيبة وجزع الكثيرون لدى رؤيتهم الصدوع بتزايد اتساعاً في صرح التفاهم الانساني فأصبح شعار المرحلة أولاً ولا يعني سواي ا

تلك كانت برهة تقوضت فيها الادي السامية ورجع المرء ابانيا الى اائلته الخاصة بانشأ قاطعاً من الوصول الى ما تصبو اليه البشرية من نظام وثقة متبادلة . فأظهر هكسلي عندها كتابين يرمزان الى تلك الحالة الروحية البائسة اولها اسمه « افضل ما نشاء » والآخر « بيلاطس الحزا » . أولاً البحث عن الحقيقة ضالة العصور المنشودة في ثنايا تلك التطورات القريبة فأدى به تفرجه الى نتيجة سداها الشؤم ولحمها اليأس ، وهكذا امست الحقيقة في عرفه ضريباً من الخيالات والتعجاب النفسية التي لا قيمة لها البتة .

وما ساعده على التوصل الى هذه الفكرة تقببه لاراء « فرويد وجنك وادلر » البسيكولوجية ، تلك البحوث التي يشد بها القرن العشرون والتي حملت البعث على نمته بالليل البسيكولوجي .

فأزوى عن العالم ليدرسه عن كتب ولكن ذكاه الموروث ومقدرته الفاتكة لم يرضاه له هذا الاتواء ، ورأى انه لا مناص له من تنير غور المجتمع في ميدان المجتمع نفسه لا خارجه فكانت نتيجة كل ذلك كتابه الذي اسماه « بريف نيورولد » .

في هذا الكتاب الحائل بالخيال اسقرسل اللوس هكسلي في سرد الفكر التي كانت ترمي الى التفكك في العالم الغربي سرداً على دقة فذهب الى ان غاية مجهودات لاجر التوصل الى ابراز شخصية بشرية تكون في حوز منيع وحي امن من ثورات العواطف

كل كان بشري وريث ماضيه البعيد ونجاح يحمله وعائلته وبلادها وزمنه . وما اللوس هكسلي الا دليل حي على صحة هذه النظرية ، وهو من ابرز ما يمكن الاستشهاد به بين كبار الكتاب والفلاسفة الانكليز المعاصرين بهذا الصدد :

واذا ما تصفح اجنبي ما ثلاثة من مؤلفات هكسلي الاولى وهي « الكروم الاصفر » و « الانتيك هاي » و « التراي اينفس » فانه ولا شك يتساءل من الرابطة الذهنية التي تصل الواحد بالآخر فالاول منها يذهب الى ان الحياة ليست سوى سلسلة متخلطة من الاعمال لا قيعة خاصة لما بنفسها والآخر يشكك في مقدرة المرء الروحية وفي سيطرتها على مناحي حياته .

وما اللوس هكسلي الا اسليل عصر الملكية فكتوريا ورت عنه حب البحث العقلي والائمة بلمكتبات العلم ونتيجة كتابه انه ورت الشك بالروحيات المسيطر على العصر الحديث وما برحت به الاديان وما كتبه فلاسفة العصور السابقة . لقد كان العصر الذي ورت هكسلي مزايه عصرأ كثرت فيه الاختراعات المادية العلمية فسيطرت القيم المادية فيه على الروحية ، فآثر على التقاليد والعقائد كما تألم من النتائج التي جر اليها فشل الصلح عام ١٩١٨ .

وفي عام ١٩٢٥ اصبح اللوس هكسلي العالم المعالمة والمحطوب المصنع والمحدث الفكره والكتاب الذي احبه الجمهور وفضله على غيره في القارئين والسبب في ذلك انشاقه من قيود عصر الملكية فكتوريا الكتابية وهجره التصكلف المصطنع والمواضيع التي تردد على اقلام الكتاب في كل مناسبة او غير مناسبة يعذون فيها الى الوجود تلك المثل البشرية الفاتكة ويصردون طبقة من طبقات المجتمع دون غيرها . هجر كل هذه الحقائق الجزئية واخذ يصف بالخلاص غير مؤلف الانحطاط الاخلاقي والروحي في الفترة التي عشت الحرب الماضية وسبقت الحرب الحاضرة .

لقد اصبحت حرب ١٩١٤-١٩١٨ المجال في بريطانيا الظلمى

ومن التحيز الى جهة دون سواها ومن العنف والبغضاء والآلام الطبيعية والمرض والفتا . ولقد ابرز نظريته هذه في مجموعة غنية من التفاصيل استنوت البض ونفرت الآخرين .

ومنذ عام ١٩٣٢ تقاتل الروح الاخلاقية في الدوس هكسلي على روح الادب والكتابة فبدأ يتوصل الى نتائج ملاحظاته الطبية الدقيقة وساجد عليه روحية الاصلاح الحلي وهكذا فازت اخيراً عوامل الوراثية فيه وارجسته الى ما تأصل فيه منها .

فألف عام ١٩٣٧ كتاباً اسماه « الثاية والواسطة » يبحث فيه المدنية الاخلاقية والثايات التي توخاها اعظم مفكري البشر من كل الاجناس لاسعاد العالم ، عالمنا من اختبارات الواسطة ومن حوادث عصره ان الشخصية الثايات البشرية ليست الرجل المادي الذي يكتفيه ان تتوفر لديه الحاجيات والكاليات للمادية ليكون سعيداً لئلا هو ذلك الرجل الذي يشرت به الرسل والانياء وكبار المفكرين ، الرجل الذي يستطيع التحرر من القيود الارضية والابتعاد عن المطامع والتزاع المادي بالتوصل الى هذا يجب على البشر ان يتذعروا بأسباب القوية الصحيحة ، والارادة البشرية القوية تزجي خطاها ويشير حيتها غاية خارجية عنها .

وهكذا ترى ان هكسلي الذي بدأ حياته في مالم الملك واللا ادرية قاده بحثه اخيراً ، وادت به ملاحظاته الدقيقة الواسطة الى الانحراط في صفوف كبار رجال البشر ومفكرهم الذين كانوا ولا يزالون يؤمنون ويشرون بان المادة وحدها تقتل نفسها بنفسها وان الروحانيات واذا شئت لما بعبارة انبسط فالاخلاق انما هي الاساس الممول عليه والثاية التي يسمى البشر وسط آلام هائلة واضطرابات كونية الى التوصل اليها .

وبالاختصار اننا اذا ما رمتنا تتبع النمو الروحي في هكسلي فاننا نراه يتطور تطوراً اثر فيه العوامل الوراثية والحوادث العالمية فبدأ بالنظر الى الانسان ك مخلوق لا اهمية له ، او كضو حقير في آلة كبيرة هائلة ، الى ان ادى به بحثه وتفكيره الى نبذ هذه الخرافة جانباً والاعتداد بالراسخ الوليد باهمية الفرد الوحيدة في العالم ، اهمية لا تستطيع خنقها أية سلطة حكومية او سياسية ، او تضحي بها في شيل غايت اخرى .

الفردية

بولدوير

لكل رجل حقلان
باطن تربتها خصب غني
فعليه ، لقداء نفسه
ان يحرث هذه القربة ويجيبها بعزل تقة
فهو لا يجني مها حفر من الورد
ولا يجصد مها ضؤل من السنابل
الا اذا تأخر هلى سقايتها
بالدموع السقية من جبينه الشاحب

حقل الثن وحقل الحب
فاذا جا . يوم الدينونة الرهب
ونصب ميزان العدل
وجب على ذلك الرجل ليفوز بطف الديان

ان يريه اهراء ملائ من الحصاد
وازهراً

اشكالها والوانها
ترضي الملائكة

ي . غ

ضياع ...

مشى معي . . .

له جنابان على مقلتي
ومقر لفت على متولي
يروج الاحلام في خاطري
وفي دروب الليل ينقو النوى
أطيب ما في السر حلم إذا
نأهته استرخى ولم يسع

لعلي محمد شوقي

كم عابر في البدء للزوى
يقتر بالاهام من مبيع
وتستقر فجأة وثبة
فتختلج الإحلام في صتها

وفي مع النظر، بين المتني
دلمعة بين همة الخرى
راح ولم يستقر بها ريشة
وطار لم يتلف طرناً على
وكان ملء النفس ملء الدنى
والآن في نفي فراغ المدى
مشى معي بين ذعر السنا

واكثر الاحلام وجه الثرى
وان صفا فهو باعقنا
فهو التند المحبوب ليكنه

والحلم إن حققت رجع صدى
ينداح في النفس الى عمقا
وتارة يبتاز آماننا
يلو لك الأكي كرمض السنا
هذا دليل الله في عالم

الحاج سمع في عرس عترة !

نظم رساد المغربي دارغوث



من البذر يقبض عليها الحاج بيده فتبرز من بين اصابه وهو يسارع الى القناتها في جيب الولد متناولاً منه باليد الاخرى مثليكم أو مثليكمين مردداً كلمته التي اشتق منها لقبه :

— صم ... صم ... صم ... صم ...
او يقول آخر :

« كنت اتقدم في المدرسة ، عند جرع شعرة في اللب »
فجا: الحاج سم ... سم ... وقال لي : انني جانع يا ولدي . هل تبادلني رغيفك هذه التمرسات المذينة ؟ »

كنت اسمع هذه الاحاديث وسواها فلا يخطر لي ببال —
وانا غريب عن تلك البلدة جتبا يافماً بعيد الحرب مع اهلي النازحين من فلسطين — لم يكن يخطر لي ببال ان الحاج سمع هو الحاج ابو سعد نفسه جازنا الذي اسمعه في كل صباح يتلو القرآن ويقم الصلاة وشهد الله بحجراته وخشوع .

حتى كان مساء ، ابتقلنا فيه من غفوتنا صراخ تصالي في منزل الجار اعقبه بكاء ، وشهيق وانين .

وكان الحاج ولدان احدهما دركي جن واقتيد منذ عام الى مستشفى الصغورية مكبلاً بالحديد ، وآخر ورث مهنة ابيه في المدرسة التي انتقلت كلية كبرى في تطورها السريع . فقلنا اذا كان المحزون هو الذي يثير هذه الحجة والضوضاء في سكوت الليل ، وقد انتفض أكثر من ساعة على أذان الشاء ، فلا بد ان يكون اخوه قد اتخذ الاحتياطات للحيولة بينه وبين امه وابيه ، وضربها كما كان يفعل .

خرج الحاج ابو سعد من الحرب الماضية ينز باعبا . الستين ، وبثوة ضخمة اتاحت له سكنى دار ابتاعها في حي من احياء المدينة الاستراتيجية .

ولكن ابو سعد لم يشأ ان يبدل في زيه شيئاً . فقد فتح الله عليه بركة ذلك الذي المتواضع في حين مات آلاف الناس جوعاً . وآلاف آخرون آذقوا مرارة العري وآلام الأمراض بالاستقام . فهو ما يرح برتدي سراويله الحلبية وصدرته الكشعرية يشدها على وسطه بشملة من الصوف الاسود منذ كان يواياً في كتاب الشيخ معنوق حتى صار باناً في المدرسة المذكورة وامسى غنياً من اغنيا . البلدة وبالتالي وجباً من وجهاتها المحترمين .

وهو لا يذكر انه تزع هذه الاثواب من جسده الا في ايام مناسك الحج عيب انتها . الحرب الكونية .

فقد شعر ابو سعد ان من واجبه الديني وقد اغدق الله عليه نعمه ان يجمع إلى بيته الحرام مسقطاً بذلك ذنوبه ما ظهر منها وما استتر . وشاء ان يستصحب معه ام سعد الثقية الزرة وادى الزوجان ذلك الفرض على اهرن سبيل . وعاد الحاج ابو سعد ممثلاً موشياً لحيته لا تفارق انامله سبعة ابتاعها في بطحاء مكة ، يتي بين الناس فاضاً من بصره مستشاً صلوات لا يتقطع شيلها .

وكنت صدياً في ذلك العهد اجتمع الى رفاقي من الصديان في زهات الى الزهر المجاور اوفي ساحات البلدة ايام الاعياد . فيحدثني رفاقي حديث يواب كان في مدرستهم بينهم التمرس والقضامة والبذر : عشر حبات من التمرس او عشر حبات من القضامة ومثلاً

غير اننا لم نبتين اول وهلة عمر الصارخ المربود من خلال نبواته التي تنجاوب في القاعة الحسية الملاصقة لمنزلنا . فلم نشك لحظة في ان لصاً او مجرمًا دخل على الحاج والحاجة يتبها منتزعا فرصة انفرداها ليسليها ما بقي لها من المال بعد الحج وشرأ هذه الدار . والناس في البلدة يجمعون على القول بان ثروة الحاج ابو سعد النقة لا تقبل عن خمس مئة ليرة ذهباً . فاذا كان قد انفق منها حسين في سبيل اداء القرية وابتاع الدار بتسعين ، ففي حوزته لا شك مثل ذلك عدداً .

غير ان جميع الجيران اذ يتحدثون في سهراتهم واجتماعاتهم عن ثروة هذا الذي الجديد لا يستطيعون ان يبينوا المكان الذي خبأها فيه : اهو في الجدار كما يزم اقربا . الحاجة ام سعد ، ام تحت بلاط (الساحة) كما يقول اخو الحاج الفقيه المدم ، ام في (كره) التليظ تحت الشملة كما يقول آخرون .

وقد اتيج لي ان ادخل منزل الحاج ابو سعد مرة كاي جيران لاخذ طابقي التي وقمت عن سطحها الى ساحة داره المكشوفة . فلم اجد في البيت خزانة تصلع لاختفاء مثل هذه الثروة (الضخمة) . ولم اشعر ان احدى بلاطات الساحة متقلقة ترن تحت الإقدام كما ترن بلاطات الكنوز في حكايات مريشتر .

وانقضت فترة سكن فيها الصراخ والعويل . ثم ارتفع صوت الحاج يهد وهو يقول :

— انت طابق حتى يتزوج عترة !

فيضحك والذي ضحك كثره فلو تبسم امي بسمة حائرة تسامد بها عن معنى الكلام الذي سمعته وما اعترة وزواجه من دخل في خلاف يثب بين الحاج والحاجة .

وتقول امرأة الحاج ابو سعد وهي تشرق بدعما :

— « يا ظالم ! طلقني عشر مرات حتى الان اكرماً لعترة ! الله يجازيك ويجازي الذي كان السب !

ويقول لي شارحاً وهو يعود ادرابه الى غرفة نومه :

— هذا الحاج يستمع في كل ليلة الى قصص « الحكواتي » في مقهى « البحر » . . . وعترة يجب صلة . والظاهر ان الحكواتي وقت عندما رفض ابوها ان يزوجه منه .

ويبدو صوت الحاج مرة ثانية وهو يقول :

— علي الطلاق بالثلاثة بالارادة بالحسة اذا ما تزوج عترة صلة

وتسئ الحاجة ام سعد بدورها :

— « يا ظالم ! اين دينك وصلاتك وصومك . . . شو ذنبني اتاحق تطلقني ؟

ويتابع الحاج ابو سعد متمللاً :

« قال الراوي : وجاء عترة كأنه الاسد الضئير ، فضربه ضربة على رأسه ، شقته حتى تكه لباسه . . . قال الراوي . . . ولما رأى عترة كأنها العروس شق عترة من صدره القميص ومشى اليها مشية الحنديس . . . ثم صرخ وزجر وقال الله اكبر . . . »

وظل الحاج ابو سعد يروي ثروجه (المطلق) ما على بذكرته من اقوال « الحكواتي » ابو لسانين وما استطاع ان يفهمه من قصة البعد البطل وابنة عمه الحرة الناعمة ، والحاجة تبكي وتلتجب ونحن في فراشنا نحول ان نستجيب داعي الناس ، فينبهنا صوت يرتفع فجأة من بيت الجار العزيز ، او لبطلة في الحاصرة من اخ صغير تمرد على انتم الى جانبي ثرة والى جانب اخستي ثرة ، حتى صاح الديك وانقضى المزيج الاول من الليل .

لم تشرق نسم اليوم التالي حتى شاع الخبر في اوساط الجيران جيمهم . فقد رأيت ام احمد الحاجة ام سعد مستقرة بتقارب ايض داخل بيتها . فضئت اول الامر ان تكون قد فقدت احد اقاربها فلبست عليه الحداد . ولما سألت ام احمد الحاجة ام سعد من سر ذلك اجابتها وهي تضاحك :

— طلقني الحاج . . . حتى يتزوج عترة !

وراحت ام احمد تعزي جادتها برة . مصطنع وهي التي سمعت الحاجة تلعن شاتها يا لاشهر خلعت عندما طلقها ابو احمد ، بسبب كثرة الملح في طعام اعدته له . ولم تحض دقائق حتى انقل الخبر الى ام علي ومنها الى ام حسين ومنها الى الست عيوش . وتكفلت هذه الاخيرة بتشره في المدينة .

فلم تكن قر ذلك الضياح في احدى (الحارات) حتى ترى رأسين يطلان من كرتين ، ويتهايان بالبحر الجديد الرائع . وما جاء المساء حتى احاط بالحاج ابو سعد جميع شرائه وجلسائه في مقهى البحر : هذا يته مسجياً وذاك يلوهم معنفاً والحاج يردد :

— والله لا اقرب ام سعد حتى ينال عترة وطره ! هو عترة والا اثنين !

ويطو في المعنى ضجيج وضوضاء. وتختلط التهتهات بأسئلة الاستهتام تسلمها الآفواه من كل ناحية بوسارع صاحب المعنى الى تهدة الحاج وتقليب خاطره متنازلاً عن عرش النارجيلة المحطمة بقوله :

— فذاك يا حاج اوفدا عترة ا

وجاء « الحكرواني » في موعده المتباد بعد صلاة العشا وجلس على اريكته وسط المعهى بمواخذ الزبائن يتجمعون حوله في حلقات يستمعون اليه والى كركرة نارجيلتهم وطقطقة (الكسرات) يتسلى بها بعض الحضور والحاج سمع على رأس الجماعة بطن اعجابه بكرة بقرله :

— الله اكبر ! الله اكبر !

وبغضب تارة اخرى مغمناً :

— عليهم يا عترة ا

والحكرواني يشفق باعثة تشفقاً يميل اليك معه انه ابو اربعة أنسن لا اسنان منسب ثم يضرب بعصاه المنسبر ويرتج المعهى بكامله وتتر اجنحة السامعين فيخرجون بصوت واحد :

سماحاً يا عترة ا ابو الفوارس ا

وكان ابو الهادي قدكشا ان يطيل عذاب الحاجة ام سعد . فاكاد يصطلي الى اللقطة التي اراد الرواة ان يتم عندها زواج عترة الفرسان بيلة الحسان حتى يعود الى رواية الاشعار منشداً ما تسج به ذاكرته من ابيات يستقيم بعضها ولا يستقيم البعض الآخر ، ثم يعقبها بازجال ما حفظ او ارجل في خليط لا تتبين معه وحدة للقصة او هدفاً معيناً للوضع .

وفي الايلة الثالثة افتنا هذه المرة على جلبة تملو من ناحية الجار الحاج ابو سعد وماهزج ترددها افواه كثيرة وتصكيرات وناشيد تلوكها السن لا تحسن الاطلاق بها . ثم يتلو ذلك زغاريد من نساء الحي وقد اجتمعن في نوافذهن المظلة على (الحسابة) خلف (الشحرات) . واذا بصوت يطو تلك الضوضاء صريخاً مفهوماً الاداء يقول :

= مبارك يا عريس . . . تنهنا يا حاج سمع ا

فلما ان عترة قد تزوج علة . وابتقت ان الحاج ابوسعد هو الحاج سمع . وغت تلك الايلة افكر : كيف يتزوج الرجل بالمرأة ؟

ربنا المغربى دارغوت

فيؤداد المعجون حاسة ويشعرون بما يتحسسه الرجل يؤون مقدساته ووطنه في حضرة وطني صادق راح عيبد الاخلاص ويبعد ذلك الوطن . ولكنه شعور غامض لا يستقر في النفس غير لحظات تنصرف الجماعة بعدها الى معج النارجيلات واحساء. القهرة والشاي وهم مسترون على كراسيم في جاسة مسترخية، لا يمر كرن سوى طرايشهم او لباداتهم (بشرخائتها) بين الحين والحين : يندفون بها الى الامام تارة حتى كسرف على بطونهم مائلة كأنها برج (بيزا) او تطل على أفقيتهم في وضع افقي ، تجب معه كيف تستمر تلك العلمات على تلك الرؤوس الخليفة الفارغة .

والنارجيلات (تكرر) باستمرار، وصاحب المعهى يروح ويحيي . في ثيابه الرثة القذرة في حركة دائمة لا يقف الا (ليست) رأس نارجيلة او ليقدها الى زيون جديد .

وقد ضاق الحاج ابو سعد هذه الايلة ذرعاً بجلجاشه . فهذا يتحدث عما طبخ من طعام وذلك عما اشترى من متاع وذلك عن مات او ولد وآخرون عن خلب وتزوج . والجميع في سرح يزدي الحاج في مساله هذا ويقبض صدره . فيشتي ان لو يصمت الكل ويرويه من جيبهم ، او ان تؤذن النارجيل بفرعها عندهم يكرم لاحلامه .

فالخاج في واد وهؤلاء الناس في واد . بلنه يتنقل مع عترة من غابة الى غابة يصرع الاسود ويصادق الاناعي . ومن حي الحي يتنازل الابطال ويقارع الرجال . فيضرب بالسيف رأس هذا فيعطيه في لغة بصر ويرمي بالنبل عين ذاك فيقتأها ويرسل دمه الى بطن ذلك فيطلق به كاللحم بالسفود (السيخ) . وتتردد في اذنيه اقوال « الحكرواني » : قال الراوي فضربه ضربة على رأسه شتته حتى تسكة لبايه . . .

وتترامح تلك الصدود والالواح في غيلة الحاج متتابعة متلاحمة . وتدوي هذه الاقوال في اذنيه تدوي النمل او هدير البحر . فيسك بره هو الآخر يره في وجه خصوم عترة واعدائه . حتى اذا تكاثروا عليه واجتمعوا يسدون في وجهه كل منفذ فذهبهم الحاج بكل ما اعتدته من قوة خارقة فتخطيت النارجيلة بين اقدام جلسائه وتطايرت شظاياها (وبضات) تارها على اثارهم وطرايشهم ، ووقف الحاج ملوحاً (بناريجه) صارخاً :

— ولك ا اجا عترة ا اجا السبع الضضر ، اجا المورت الالصفر ، اجا الحاج سمع ا

تهيم بي وتنفر ، فأرتجي وأصبر
 لعلها تدرك ان الحب لا يستمر
 ٠٠٠ ومطلبي منها غد يطوى ، وامس يُنشر
 لنا على بسمته ، انى تهادى أثر
 يضمننا معاً ، ويأفني بالحال ، العُمر
 فنبت الرحمة في قسوته ، ونزهر

يا حيرتي فيما تبوح لي ، وفيما تضرع
 زاعجت في الدنيا ، وقلبي ضاع عنه الحبر
 تلفسه الحيرة في اوهامها ، فيمثر
 ويرثي والحلم في بطنه يدثر

مالي اذرت النفس في موطنها وانثر
 وقلبي الشمس ، ومرمي ناظري القمر
 ولي على الدروة من دياي حلم انور
 يملع النزوة من حبي اذا احقر
 ويخفق الدمعة إن حن اليها المبحر

يا منية حسبتها أظهر مما تظهر
 وخلت ان النفع في اجوائها معطر
 غيبي . فلا احفل ، بعد اليوم ، او اصطب

حيرة

لبرسف الخال

بيروت والبيروتيون في عصر ابراهيم باشا المصري

١٨٣٢ - ١٨٤١

بسم نبي طبره

الفصل العاشر

التجارة - الصناعة - المجالية الاحنية

الشاري وهو قائم بالباب . وكان لاصناف التجارات سوق خاصة فكان هناك سوق التطن وسوق القزل وسوق الحشرة وسوق التياقيب وسوق الترابيسج وسوق الطارين وسوق الحدادين وسوق الدباغين وسوق التجارين وسوق البزركسان وسوق الباطرة وسوق الحياكين ومينا، القمح ومينا، البصل ومينا، الحطب ومينا، البطيخ وغيرها . وكان لكل سوق رجل يقوم بمثل المشاكل التي تقع عادة بين البائعين والمشتريين وكانوا ينقونهم بلسم الصناعة او التجارة التي يتعاطاها فيقولون شيخ الحدادين وشيخ الحلاقين وشيخ الطارين وشيخ التجارين وما الى ذلك . واما ما اشتهر به من اعيانهم فانهم كانوا يقدون البسيع والشرار . بالكلام ويصاغون فلم يجازوا الى السندات وقد بقيت الوثائق (الطويع) بلا تسجيل في المحاكم الى ان امر داود باشا اول المتصرفين فسبغت في سنة ١٨٦٢ ثم صدر الامر بالامر في المحاكم سنة ١٨٦٩ وكانوا يؤرخون بالمعبرة الى العصر الذي نكتب عنه فشاخ التاريخ الميلادي في المعاملات .

وكان اهل بيروت يميلون في ثروتهم على التجارة والصناعة واهم ما عرفته من تجارته التبغ والزيوت والصاين ويبيع الثرائق والحريز المحلول فكانوا يجمعونه شلالا ضمن بالات ويحملون منه في المراسم كميات وفيرة الى مصر ومرسليها . اما الصناعة فقد اشتهروا باحترافهم حرفا خاصة اهمها صناعة حل الثرائق لصنع الحريز المسمى (البدي) وكان يمل على الطريقة العربية القديمة الى ان اسس في سنة ١٨٣٦ اول معمل لحل الحريز على الطريقة المستعملة في اوربا بمجي الدحداح الكونت دي لا فرته Comte de la Ferté والكونت دي لامون Comte de Lemont ثم انشأ في سنة ١٨٣٨ السادات نقولا وجورج يورطاليس معبلا استحضروا له من اوربا نظارا وعددا من الصناع الماهرين فاخذ فريق من اهل الوطن عن العمال الاجانب أسلوب التحليل الافرنجي فقاموا بتشيئها

امتازت بيروت في ذلك العصر عن المدن بطابعها التجاري نظرا وقها الجغرافي ولمفاتها الصالح لسهولة السفن التجارية وكثرة السلع التي كانت تمر بها حاملة اصناف التجارات في طريقها الى انحاء المشرق والمغرب . فكان الوافد اليها يجتاز ازقة لا يزيد اتساعها على ثلاثة امتار تلتوي ثارة نحو اليمين وثارة صوب اليسار وتحتجب في بعض الامكنة عن عين الشمس وراء سقائف ، ازقة تقفل فيها الهوا، وكثرت فيها الاخاديد تكتنفها عن الجليين مياه متلاصقة تتشابه في صغر منافذها وقفتها وفي حجم ابوابها ووظائف مظهرها . ولم يكن يرى فيها فندق ولا مطعم وانما كان فيها خانات كثيرة خان الشوني وخان الجبريد وخان التجار وخان الدباغة وخان بقرس وخان حمزة وخان الملاحة وغيرها يتزلها المسافرون بدواهم . وكانت بناية الخان يومئذ على شكل مربع يتألف من طابقين خفص الطابق الاول منها لايواء دواب التازلين وتكون الطابق الثاني من دواق طويل امام صف من الحجرات المتعاقبة اعلمت للتسديد الغرباء، والبالغة الجائلين من متوسطي الحال لقاء اجرة يومية وقدرها اربع نخاسات . اما اعيان التجار فكانوا يقولون متلا كرجا في بيروت عملهم . وكانت غرف الخان خالية من الاثاث يتولى المسافر فرشها بما يجمله عادة في الاسفار من متاع وما امتعه الاسجادة صغيرة يبسطها على الارض وينام عليها وبعبادة يندثر بها ويخرج يتخذ له من عينه الواحدة وسادة يبيتا يكون في العين الثانية جنب ابيض وزعر وزيتون وقديد وما الى ذلك مما كان اعد زادا للطريق . وكانت الخوانيت صغيرة ترتفع عن الارض مترا او بعض المتر ويرى البائسون في وسطها جالسين مقبعين وقد تراكت حولهم السلع اكسادا فوق الرفوف يعرضون سلمهم على

وزادت فيها بعد معامل الحرير انتشاراً في لبنان كله حتى بلغت
فيها بعد ١٥٤ ميلاً .

وراجت يومئذ صناعة حيكة وتطريز الحرير والصوف وشعر
الماعز يبيكون من اقتسبا ملبوساتهم ويصدرون من هذه المنسوجات
الى مصر وبلاد الأناضول ورجلت صناعة الدانتيل والصباغة
والدباغة والسكافة والمعامل الخزفية والحداثة ومعامل القواب
والسفن الشراعية . والتشع من المحاصيل التي كانت تمد اوفر غلة
بعد غلة الحرير ويقدر هذا الصنف بثلاثمائة ألف اقصة
تقريباً يصدرون منه الى الخارج ولا سيما مصر . ومن اهم مزارع
ضواحي بيروت يومئذ زراعة التوت لقرية حود القز والصير يستعمل
كسباجات للبساتين وكلف للرواشي ويزرعون كذلك العنب
والخضر والاصب والزراذ السباجات ويستعملون قصبانها لقرية
القز ومن اشهر الاشجار الزيتون والمشمش والوز والموز

وكانت بيروت تضم جاليات اجنية اغلب افرادها من التجار
وجلمهم من الفرنسيين واهل البندقية (فينيسيا) يسترحون سلع
البلاد القرية ويستعوضون عنها بمنتجات البلاد الشرقية واهمها
الحرير . وكانت الدول تؤد اليها قناصلها ليراجعها شؤون هذه
الجاليات ومصالحهم التجارية . وكان في المدينة قنصل الدولة
الكبرى يومئذ قنصل دولة فرنسا وانكلترا وبروسيا والنمساك
واسبانيا والنمسا واليونان والبندقية . وكان القنصل يستمع
بامتيازات واسعة فكان عند خروجه من منزله يتهي امامه الياور
او (القواص) ينسج له الطريق . وكان من عادة الناس عند
رؤيتهم القنصل ان يقفوا عند جاني الطريق ويمجوه تأدياً او يضربون
التملي (اي السلام على حد تعبيرهم يومذاك . وكان الاجانب
يشيرون عن اهل البلد بلباسهم التي تتألف من تنورة بيضاء تصل
الى الركبة وربطة واسعة من الخمل وصدرة ملونة . وقد فضل
الاوربيون بيروت على سائر المدن الساحلية لحسن موقعها الجغرافي
والتجاري اذ ان هذا ان الجيوتي موصوف بسلامة الذوق وهو
بطبعه متسامح بانف الترياء ويعلم مكاناً طلياً من اجل هذا لم
يشعر الغرب بالوحشة التي يشعر بها عادة في بلدان أخرى فضاظ الاهلين
وانخذ منهم اصدقاؤه . وبما لا شك فيه ان هذه العوامل حبت الى
الاوربيين السكنى في المدينة وأدى هذا التقارب من المنافع ان
توسع افق النشاط التجاري وتبدلت اساليب المعيشة وتطور نظام
الحياة الاجتماعية وبرزت بيروت شيئاً فشيئاً من ظلام العصور الوسطى
الى نور النهضة الحديثة .

انحصار الحادي عشر

ضواحي المدينة . الابراج . المواصلات

في ذلك العصر كان يحف بسود بيروت بساتين مفروسة
بلشجار التوت ويحفل الروابي زرع وشجر يمتد صفوفاً الى شاطئ
البحر . فكان الخارج من باب السراي الشرقي يري الى اليسار
مقبرة الغرياء ومقبرة المحلى ومقبرة الخارجه في الموضع الذي يشغله
اليوم المعلم الفرنسي ويشاهد الى اليمين برجاً يقوم في موضع سراي
الحكومة الحالية (السراي الصغير) التي بناها في سنة ١٨٨٣ -
١٨٨٤ م يشاهد افندي الطب مهندس ولاية بيروت بعد انتهام
سراي فخر الدين في سنة ١٨٨٢ .

ويرى ساحة البرج (١) روضة غناء تحنو عليها الاشجار الباسقة
وكانت تعرف باسم بستان فخر الدين نسبة الى الامير فخر الدين
المعني وميمت تلك الضاحية بالبرج نسبة الى برج الكشف الذي
كان مقام مقهى البارزات في الزاوية الشمالية من شارع غورو .
وقد حذب يومئذ الحزاب الى البرج ولم يكن منه غير درجات
حجرية . واختار هذا البرج في الزمن السالف الامير فخر الدين المعني
فكان يجلس في منظرته المطلة على الاراضي الخصبة الواقعة على
الشاطئ . نؤامه امشاهد البساتين الخضراء وزرقا للبحر وبياض جبل
صين الكمال الناتج تلك التي تهب مرأها القلوب ويستوي الالباب .
وكان تجاه باب يعقوب وازاء باب الى النصر مقهى بلدي . بني
مسن مفروسات القصب كدوالي العنب يخرج اليه المولود بمناظر
الطبيعة في كثير من الاوقات يتنسمون الهواء الطلق ويتزهون في
ظلال شجر الجوز ثم تتأدى المسالك في عماد ضيقة بين البساتين الى
الحجر الصعي حيث يلوح من هنالك برج الحضر وفي جانبه جامع
الحضر القسام تحت قبة بيضاء . واذا حوّل بصره نحو الجوارب
الشرقي رأى هضاب مار مرق التي سحر جالما لامرئين الشاعر الفرنسي
حين تنقل في ارجائها ثم يليها الى الجنوب الغربي سهل اخضر زاهر
بلغم يقع في آخره (رأس النبع) . وكان يومئذ قرية صغيرة تبعد شياً
ربع ساعة عن المدينة وتبدو من هناك غابة الصنوبر الثلاثة . وامامها
ميدان فسيح هو ميدان السباق الحالي حيث قصر المتدوب السامي
الفرنسي وكان يعرف باسم (المرمع) تقصده افواج هواة التحصيل

(١) اطلق على هذه الساحة يوم رايح فيها الجيش الفرنسي بتساهه :
Place des Canons في سنة ١٨٦٥ . وتعرف اليوم بساحة الشهداء لان
الباينين انصروا فيها المشاي لجن الرجال السباين في سنة ١٩١٦ .
وانشأت لهم فيها حكومة لبنان الثتال العام في وقتنا الحاضر .

القوة لبقادوا طراداً ورمياً بالجريد . وللخيل في ذلك العصر عز ودلال وكان اصحابها على سنة اباهم يمنون بترين سروج يتقطع من الفضة ويحلون رؤوسها بتيجان واكاييل من الرئش . ولقد اشاد لامارتين ابعثاً بحمد العذب القروسية وحمل موقع الميدان ووصفه وصفاً بديعاً وقد اضطلع هالك على العشب الزاهر وتقباً ظلال الصنوبر في جوشائق صاف رقيق واستمع الى خفيف الضوضى وتغريد الطيور اذ راح الى المشهد الجليل لذة التأمل والنجوى فنده من احسن اماكن العالم جاذبية وسعراً . واذا جال الطرف ناحية البحر رأى المهاجر الواقعة في محاذي مار الاسب والمضيطة يتقطع منها الجادة الكبيرة فتصلها الجبال الى حيث كان الاهليون يبنون بيوتهم وقد بنى الفينيقيون باحجارها من قديم الزمان المباني العظيمة اما المضيطة فقد ذكر صالح بن يحيى في (تاريخ بيروت) ما نصه : هوهر يديم الخوارزمي في ظاهر بيروت مسطبة (المضيطة) وعرفت به الان (اي الى عهد المؤلف في القرن التاسع للهجرة) . وكانت المراكب تضع بها على بعد من البحر . وكان لحمة مسطبة شأن فكان السلاطين والامراء اذا دعوا يدعوا وهي على ما كانت عليه من الضيق والبساطة في العمران يتلون مع اتباعهم واجنادهم في لحمة المسطبة ويقيمون فيها الاحتفالات على سبيل الاحتفال وامتداد هوانها . وقد جاء ما يدل على ذلك في كلام علي اسماعيل بن هلال من الاشرفية وهي الحلة المعروفة في بيروت ولها سميت بذلك نسبة الى الملك الاشرف المشار اليه ففي صفحة ١٦٩ : « اسماعيل المذكور كان من اعيان الناس وسكان من ذوي اليسار . حكمي عنه ان السلطان نزل على المسطبة التي كانت معروفة بجزلة السلاطين قبالة الاشرفية فعزل له اسماعيل ضيافة فكان صوبح البكرة مائة خروف مشوي فظن السلطان انه الدياط . ثم بعد ساعة او ساعتين حضر السباط الكبير فتعجب السلطان ورسم له بجلعة » اهـ

وكان يعاود الروابي ابراج تقوم مقام القلاع المتينة في حماية البلد ومن اعاليها كان الحراس يرقبون حركات العدو . منها : برج الي حديد وتعرف الحلة اليوم باسمه . وبرج الفرس وكان غربي البسطة والتحت وقيل انه كان يتصل ببنادة تحت الارض تافئة الى المزرعة . ثم برج الحصن وكان في حلة ميناء الحصن التي تسمى العامة خطأ (ميناء الحسن) . وبرج القنار وكان على الصغور في مدخل الميناء . وبرج دندن وكان رسوماً طامسة واظلالاً دراسة لم يبق منه يرمز الا حيطانسه . وبرج انه كان قرب (كركول

العبد) في طريق الشام . واذا خرج من باب يعقوب رأى البرج الجديد على ديوه ارتفاعها ٣١ متراً عن السور الواقعة قبالة الكنيسة الانجليكية . واذا خرج من باب السطبة الغربي ومال ذات اليمين رأى شجرة حمز كبيرة تظلل سبيل ماء امام مقبرة السطبة (١) . وعلى مسافة مقبرة اللاتين والكاثوليك القانتين في . تنهى جادة الفرنسيين واذا تقدم نحو التراب شاهد رأس بيروت آهلاً ببعض الدروز وهم - كما يقدون - سلالة مشايخ آل كسروى الذين هبطوا اليه سنة ١١٤٤م . وكثروا هناك يعنون بحرق الحقول مزارع ابايهم واجدادهم العائرة بدوالي العنب والتخادر والاشجار المشجرة واشهرها التين . وكان تين رأس بيروت شديد الحرارة صافيا اللون دقيق الثمر يغمه اهل بيروت في الشمس ويملونه في قوارير لتباع في مصر وغيرها من البلاد .

وكانت بيروت تتعدل بتدبتي صيدا وطرابلس ويبيض قري الجبل بطريق مقبرة موحشة لا تتسع الا لمرور رجلين او رجلين ويصلها بدمشق طريق تصعد شعباً بين الغضاب وتتهدلها قري وضيق قلعة الى خان الشمان شرق بلفة عالية لتصل الى عين صوفر ثم تنحدر الى النواع وتتفني الى زبدل بالقرب من شترة ثم تتد الى خان . يهاون لتتهدى الى دمشق .

وكانت الحفلات تتعاقب على جانبي الطريق مرحلة بعد مرحلة تقوم على هبات حشرة بجوار العيون واليابس وخان الجبل يتألف من حوش تسيح للدواب يحوطه من ثلاث جهات حائط عاوه متران او ثلاثة ويقوم من الجهة الرابعة غرف على جانبي الباب هي منازل للسافرين وعلى باب كل خان ساقية للاسبيل وحائوت فيه ما يحتاج اليه المسافر .

وكانت القوافل تسير في ايام معينة من بيروت باذن من المتسلم وقد وكل امر حراستها الى اخوة اقرباء لهم جالة من الحكومة حفظاً لاموال الناس من قطاع الطريق . وكانت القوافل تصل الى دمشق في ثلاثة او اربعة ايام .

سحب طباره

(١) كانت السطبة معروفة في القرن الرابع عشر للجياد بالصنطية وقد جاء ذكرها في (تاريخ بيروت) لصالح بن يحيى قال في صفحة ٥٩ : « وتزل الفرج من الشواني (جمع شونه وهي السفينة الحربية) الى البحر في مكان يسمى الصنطية غربي البلد في الراس من النهار وقلعوا البلد ونهوا واحرقوا النار التي لنا على البحر (بين لامرأ كل بخت) والسرور القريبة من الميناء » اهـ . وقيل ان الصنطية كانت قديماً مقبرة لليسعيين وان اسمها الصنطية كلمة مشتقة من (صنط) اي مقدسة .

تفويح

بسم عبد الله الصولي

صيفت من طيبتين ، بل لطيفين في بحر الجمال لآلته . فقد افقن
فبين إبداع الخلق حداً أبرزهن 'ملاً' ناطقة بالقرن ، وخوراً صيفت من
زيد الخلد الخاتم عند بارقات الرمال والشواطئ . ذابة تقاطيع في
أريج وجه ٩٩٠ . ودار به ناظره كالذي تذكر صباية قديمة طالع
عليها القشل ، فأرسل آهة مأوية اختفت في حلقة قبل نهايتها . . .

قال بعض من حضر : لكأن لك بينهن ذكرى طرية بوقعها
على قلبك وإن قدم بها العهد . . . فراح يحاول الاخفاء على شقي
مذاهبه وأساليبه ، ولكن كان في عيني ما ينصح بكل خبر قلبه .
قد غداً قناني تحت هبة كثيفة من الدهور ، حتى ليخيل
لناظر في مقبلة أنها جدت في غير حياة ، ولو لا بعض ربيع الحيوط
كانت ترسلان قللاً ، على أنه مال يتخافت فيا تموت به ميناء من
طبع رقيق لا يؤذن لأفنيحده .

وبينا هم على ترسايهم وتسلمهم ، استأذن الحاجب وأعلم الملك
ابن كبير البنايين بآهة تجارية فالتفت (يود عرضاً) ، فقد كان
متدارفاً أنه يبدأ بالقصر فيعرض عليه ما يهبط من الظلم ، فأذن
الملك وأجريت مراسم الدخول .

وكان عجب الحضور كبيراً حينما مثلت بينهم ، فهي تتمتع
بأكبر قسط من جمال الرؤى حتى لقد خيل للكثيرين منهم أنهم
يبدرون منظران من جمال فن خيالي ، يجيء من دونه كل ما في
طاقة الحياة من فن الجمال .

هبطت على جمهم بروط اليرة على جماعة الطير في الغاب مع
ظلام الماء ، فاهتدت أعصابهم كالأوتار ، ونطقت بلسان الحنين
المواج فملأت شاحسة في مدى بلوات هذا الإبداع .

وكان في هذا الدهور الذي غرام ، ما جعل أحد لا يظن
إلى ما استبد يدبغ من اضطراب وما تلقكه من قلب ، كما لم
يظن احد أيضاً إلى ما ساورها من خلجات عنيفة كظلمتها ،
فصردت على قوم مقايها ناطقة بالهبط الرواب .

كان لناظر ان يقدر ان يدبجاً أكثرهم أحدأياً لانه أكثر
تنوعاً للجمال ، واما ان يقدر انها بالذات نفس فالتفت التي احتفظ بها

يوماً (١) ازدهت فيه دمشق بكل أمانيتها وبرزت فيه
بكل فتونها ، هذا اليوم الذي أمل معه الربيع في ابتسامة
الازهار وعقب ابتسامها في الهواء السابح ، مرصداً بخيوط الشمس
المتقعة بقناع من المزن الرقيق الشفاف .

كان عادة عند ناسها استقبال الربيع بكل أشياء الانس
والخفاوة ، وبكل ما توحيه التمتع المستبشرة ، فكان يجتيل
للشاهد أنهم نسوا حتى الزمان في وجودهم ، ثم لم يذكر وإلا ما
هم فيه من أسباب الالوه العابت البري . . فيقبلون عليه بلغة الظاني
على الينبوع وينطلقون في مدى كل معنى نصير ، ويثرون انتاد
الطير في كل فضاء .

وكان هذا اليوم كأنه في حس الغلك ساعة من لاوعي الزمن ،
يسبح منها في عريضة حاملة أو أحلام مبردة ، ترتد على الخيال
الشاعر ، أن تظيف به هذه الساعة من لاوعي الزمان ، ولا يفرط
مهما في خضم النسيان والانطلاق من قبولة الزمن والتفكير في
الحياة .

في هذا اليوم كان «مأوية» في قصره المشيد وفي الجناح التاروق
بالتبع ، يتلف مع جمع من حاشيته زينة زهو اليوم . وكان
«بديع» مولى عبد الله بن جعفر يؤنسهم بطرائف أخباره وملح
نوادره ، فالتفت به الحديث إلى أخبار الاغريق وعجائب ما شاهد
بينهم . وكان فيا قال :

كان نساءهم خلقن من طيبة الجمال إن لم تكن فكرة الجمال

(١) هو فصل من كتاب حبيبة الحنين عرض وقصص ، والفصة
وقلت عليها في جزء صغير بعنوان فضائل مأوية بن أبي سفيان ، ومولته
ابن هشام عبد الله السطفي . وهو خطوط في حجم كراس من القطع
الصغير . ولا تريد صنعته على الاربعين . وقد غرت عليه مرصداً في
مكتبة المرحوم الشيخ عبد الرحمن سلام بيروت ، وهو يرتقي بطله في
أقل تقدير إلى حدود القرن السادس الهجري ، وليست طيه بلمحات . وهذه
الفصة التي اجريتا على أساسها الفصل مروية عند السطفي بهذا السند قال
(حدث ابن الامري عن المبرد عن المازني قال قال الاصمعي : مرحت
على مأوية جارية وسأل المبرد بقاءه)

ذكرى ندية بالترام ، وعرضت لنفسه منذ هنية في بعض الحديث
 فهذا ما لم يكن يتبع في مذهب الخاطر المرسل .
 ولقد قطع هدة وجوم الانجذاب ، ماوية بقوله غاملاً كبير
 النفاخين : لشدة ما ادهشتنا حورائك ؟ فمن اين هي ؟ (وما هي ؟)
 قال الرجل : (ايها هوى) . . فانبت بسر بن أرطاة انبعاثاً
 يقول :

(هي والله كايها هوى) ، تحض منه وترفع ، وتطيل به
 وتقص ، وتكثر منه وتطوي .

قال عمرو بن العاص : وماذا يكون الهوى ان لم تكنه ؟ . .
 وكان بديع قد ضبط أرشية قلبه الفائر بالذكرى والحب والآلام
 والبعد والثر ، فقد شعر الآن فقط انها نات عنه والى الابد ، اما
 عرضت على الملك ونالت استمسانه وحظيت باصحابه ، فهو لا محالة
 سيضنها الى جلة وصانف القصر وولائده ، فكان في حس نفسه
 كأنه يرض على جانب قلبه يعضه .

كيف لم يبعثه التدر الى الخروج منذ هنية وبتلقاها عرضاً ،
 فقد كان يحول بيننا وبين الدخول ويغطي بها لنفسه ، وهو الذي
 ظل يشي حياته منها لحظة لقاء . . لقد مدد التدر بساعة لقاء ، فمراً
 ولكن فيها مرارة النكاية والتأويل ، ففاضت قلبه حجارة .
 وانتقطع بهم عارض الحديث فساد النفس الى مملة :

وهي اغريقية المنبت والنجار ، ترقى لى انها اجدت لتكون
 كاهنة في هيكل دبة الجلال حنديم . والاغريق يشعرون في مثلها ،
 ان تكون نسفاً في الملامح والتساطيع والشكل مع الاهتهم ،
 ليجز لهم في الرواسم والاصياد وكان دبة الجلال برزت لهم او
 تعمصها ، فانتهت بها صفوف الاقدار الى حيث ترى .

والعجب - ايها الامير - انها ذات فلسفة في الحياة ، رغبت
 بها من متع الحياة والفتا في مثل الزهد .
 قال معاوية ناشطاً : كيف تقول ؟

قال : نعم هو ما اقول لك . . فضها الى قصره . وقد بذل
 فيها (مائة الف درهم) . وواصل : لقد صدق والله بديع فيما مضى
 يجذركم به من جمال الاغريق . . ولكن لم تبعد الوصائف يا
 حتى استوى وكان منكناً ، فقال :

(لم تصلح هذه الجارية) ؟ قال عمرو بن العاص :
 من (سوى امير المؤمنين تصلح له) . وكذلك قال آخر وآخر ،
 ومعاوية يقول لا يبيتم كالذي يعايهم . وبعد ان اخذ منهم
 الشرف مأخذه وترايد هم التلب ، قال لهم معاوية :

انها يروحيتها وكالملا لا تصلح إلا للحسين (فانه احق بها لما له
 من الشرف ، ولما كان قد شجر بيننا وبين ابيه) . . فارتست على
 وجه الحضور آثار مشاعر مختلفة متناقضة ، امبا بديع فكان محلاً
 لاتواع شتى من الشعور ، فقد انشرح واكتأب وطرب وحزن في
 درجة واحدة من الاتفاح .

انه أمل ان يكون موضعاً لسقوط هذا الندى ، وتبقى وهو
 التلامي . بالموى ، ان تكون ربه هذه النادة المارة بذنوب الحب
 وطأل الترام والتي هي عادة قلبه ، ولكن خاب به أهله فاكأب
 بيد انه مشى في حواشي هذا الاكتئاب عنده إنشراح ،
 مصده ان الحسين وهو المنقبي يرحق الميكل والمسترق في التأمل
 الالهي والطفاح بخير الانسان ، ان يينل بها عليه . وإن لم يكن
 فلا اقل من ان مقامها اضحى صنو مقامه في المدينة بين آل ابي طالب
 هو يشقى ان تكون قريبة منه وكفى ، انه يريد بها مئة قلب
 وقد سقط على اميته منها .

فيلق في نفسه يبرع بسر ضحكك معه ضحكاً خفياً في الخيال ،
 وزاد به حتى انفس يضحك كالمرسيد القرد ، مما جعل الحضور
 يرمقونه بلسنغراب ، وطاف على السكتم : ما بال بديع ؟ . ولكن
 قلعه عليهم يقول :

انها ستكون بحاجة لنبذة الوقع على الحسين ، سياً وقد كانت
 كاهنة في هيكل دبة الجلال ، وهو الحالم الماهم بالجلال المنعم به خبير
 الوجود .

بعد ما تناولها الوصائف بالتطيرة والمندمة للفتنة مع أسلوب
 القصر ، برزت كالأربة التي تحلم والبحيرة تصطلق بأموائها الرقيقة
 عند الشاطئ .

كانت ساهرة الفتنة مفرقة الجلال ، ولكنها ترى مع ذلك
 كالمهامة في خيبرها . فلم تكن ينظرها كتير اصدقاء الشوفا بل تكثر
 احلاماً نشوى من احلام الروح ، تلقى الناظر قسراً في مثل المحراب
 الذي يشيع في القلب مثل معنى صلاة خاشعة .

وهذا اللون من الجلال غير محبب الا للهايين في دنيا ضمازهم ،
 واما الآخرون الذين يسيرون في دنيا اصحابهم وينطلقون في مدى
 رسوبها ، فانهم ينفرون من هذا الجلال الذي يفرهم بمعنى مبهم لا
 يتذوقونه ، ثم لا يجرأ اي وتر من اوتار قيادة خيالهم المركبة
 تركياً لا تنطق مع بجل ريشة هذا الجلال ، او تنطق بنفث متنافرة
 توحى بالارادة .

إله غادة أحلامي . ليست العاصفة العيوب هي التي تشهدني
في حواشي هذا الليل ، وأنا هي عاصفة القلب وقد فارت فيه فائرة
التياع ، بل تلك بجنب هذه زغردات وابتسامات وزقزقات أرسلتها
الطير مع البحر . قماً لوحات دونك ارض زدت فيها سكل
البراكين ، لتخليتها اليك مغتبطاً مسروراً . . . فقلت معترضة :
لا تبالع ، فإن هذا بين البشر لا يكون وأنا هو من طابع الريب
والادباب . . . فذهب ضاحكاً يقص علي قصة ذلك العاشق
الكردي (١) ، الذي طلبت منه قصة هواه وردة هراء ، واخرى
صفراء . . . وكانت حديقة الورود في بقطة حراس اشداً ، وفي عين
اسود غضاب ، ويفصل دونها نهر يبع بالثيادات . فانطلق العاشق
في مدى رغبته يحرض النهر ، وتقلب في حديقة الورود يبحث عن
الوردة الحمراء . فلم يجدها . فعاد يبيل الثياب يقول لها مبتهجاً : لقد
اتيتك بها . . . فانه كان يحمل في يده الوردة الصفراء ، واما الوردة
الحمراء ، فكان يحملها في صدره ثغرة فواراة بالدماء ، فقد احاب سهم
الحرايب قلبه شطراً .

قلت له متجنبة : ايكون ذلك حقاً ؟ قال : ليس هو بعيداً
عنك ، الا فاستحي في العاشق الكردي ، اقول لك وانا اعني ما
اقول ، لو تحدثني كل ارباب الاملب كما تحدث (هـرقل) لتقاومها
في سبيلاك ساعراً بقوتها . . . فاختفت عليه سبيل الاستمرار
وقلت له :

يجني لا تجفد على الادباب ، وأيضاً في هيكل ربة الجلال ،
اني اخاف عليك . . . فانقلب يفته قاتلاً : لماذا لا تفكرين انك
انت الربة الحقيقية ، واما فينوس فربة خيالية اتيرة فقدت
حرارتها ، وببرازك كاهنة في هيكلها يدون وجودها البارد في
اسئال ، بمجراة انت تشرينها وتوزعينها . . . فوضعت يدي متولة
على فمها اقول : لا ، لا اريد ان اصعب منك تجديفاً . آه لقد فعضتي ،
أأنت ايضاً لا بد يجب تتكلم بالمحرمات ؟ قد كنت في ذلك اطين
مؤمنة بقدره الريب والادباب وانا ادرب على من احب بأن يكون
مثلي رأياً وإيماناً ، لكنني عرفت بعد ذلك ان بديماً كان اعني مني
معرفة وأهدى تفكيراً .

لقد كنت مفعمة بالإيمان ، فصوره لي حديث بصورة منكورة
توحى بالشر . فانقبضت عنه وذعرت منه ، وبالع في هذا الشعر
فكبرته ، وعنت بعد ذلك التحاشاء وانفر منه ، اود ان لا اراه .
وكنت اسائل نفسي ايكون بديع مجدفاً ؟ . وهو في نفسي صورة

(١) قصة أدبية من اجداد ادب الاكراد .

امضت (في القصر اربعين يوماً) ، كانت لا تفتأ خلالها تفكر
في مصافدة هذا اللقاء . مع بديع وهي التي باتت في رأس من لقائه ،
وقد بادت بينها اسباب وأزمان .

وذهبت تنامي نفسها : وبع بديع ، إنه لم يزل في مثل بقطة
عواطفه ليلة لقائنا للمرة الاولى بين اوراق هيكل (فينوس) . وبع
بديع ، لقد كابد في سبيلي كثيراً ونجرح امر النقص والالام من
اجلي ، ثم تناهى به بباد بيمصر عليه قلبه ، فكم ذا بقامي ؟

يا ما الذ وقفة انتظار في لحظات توله وتلاه كنت اقضا عند
بعض اعمدة الهيكل ، وبديع مقبل تحت رداء الليل يعني بنفسه
في جلوة قلب مفرم ، أضفت عليه خولة الاحلام . يا ما اقدس تلك
الزمنات ، واعذب وقها . اني لا ذكرك تلك الليلة وقد هبت فيها
الاعاصير ولعبت في مسرحها العاصفة ، وكانت الافاق تترز زثيراً
مخيفاً ، والعالم يهبط مع جنج التسلام كثيراً كثيراً كأنه شا . ان
يطمر الارض با هو مقدر فيها من الحياة والاحياء . . . وكانت
الشيطان تقود في مثل جيشان الحافقات ، والرمال تتدلى وتمازج في
شكل الاقواس ، وذعرت فيها حتى طيور الليل فانكشفت
منكشبة في المناور والحظائر ، وقد امسكت حتى الركن من
نأمتها .

ولكم تمنيت وانا واقفة عند عود الرواق الداخلي ، كته لا
يأتي في ليلة بركان السماء . وبيننا انا واجنة مخطوفة اليب بالخوف
والترقب أشرق قلبي للربة قرباناً كي تحمله وترعا ، اذا هو مقبل
كأنما رمى به الاعصار في العراء ، وتخصت منه العاصفة ووضته في
التيار الدائر في جنون .

اسرعت اليه استنكته دون الهيكل وهو يلقي كتلة مطولة
حذراً علي " من طيش هذا الليل ، وفي الهيكل استند الي صدي
كالذي خرج من المعركة ظانراً ، يحسد حياته في حس مخلوق
جديد .

قلت له وانا ادغدغ جبهته ، واعبت بشعره المتطاول (١) الذي
كنت فيه اصابع العاصفة : لماذا ركوبك الاعصار الى محراب
حبنا ؟ لكنناك من علم مبالا تلك محب فوق بركان . . . فابتسم
واخذ وجهي بين كفيه يقول :

أأعرف انك تصلين في محراب الحب ولا اسمي اليك في اجنحة
الطير ، كي اشاركك تزيينة الهوى وتزيينة الميام ، انك لتسمين
علي " في الظن بي .

(١) من قول الرب تظل اي اتخذ شكل الاحلام

فانتهت في قراصة البحر الى حيث مكاني ، وكان قدراً ما تافأ
قد رأيت بديعاً ***

بعد مقام قصير في البلاط (حملت الى المدينة مشغوعة بأمور
عظيمة وهدايا كثيرة ، وزود معاوية ورئيس الركب كتابه الى
الحسين جاء فيه : ان الملك اشترى جارية فاعجبته فأتركها) .
ادخلت على الحسين وهو منصرف سابع في مدى تأملاته ، وكان في
الجو الذي يحيط فوقه ، ما اعاد اليها ذكرى الهيكل ونقلها الى
مثل الحراب . وزاد بها هذا الشعور فاعتقدت يقيناً انها لم تعد في
شيء مما يتصل بدينا الناس ، فحفظها سكينه ولانها هذه الروح ،
وغرقت في خضم بعيد القوام من الابدات ، وكانت سكرى بما
يتساقط الى مصها من نغمات مسجورة تشع بها في مدى روحها
عذبة ندبة .

ظلت في هدأة طويلة لم تقف منها الا صوت الحسين يستقبل
رئيس الركب ، وراح هذا يجيره خيراً .

قال عليها في ابتسامه موسية يقول : ظني بك - وانت
جديدة عهد بالاعتراق - انك موحشة النفس ، وبودي ان
تذكري ذلك حال تأنيبها وتطمين .

قالت يوماً : كنت حليمة بالوحشة في غير مكانك ، ولكنني
وانا فيه عاني جديدة باطشنان في النفس والضمير . وراح يرفقه
عنها ويعاطيها اسباب الحديث على شتى مذاهبه والوانه ، وكان فيا
قال لها : الا تروين (شيئاً من شعر العرب وادبهم) . قالت :
بلى . وكانت لم تزل في آثاره من صوفيته المغعة ، فأشدته ابياتاً
جاء بينها :

انت نعم الشاع لو كنت تبقى غير ان لا بقاء للانس
وما هو الا ان فاض في قلبه ينبوع حنان تددت معه مقلته
وتبارو فيها مثل السمع والا فهو عاصدة شعور بمبق التئوى .
ثم قال :

(اذهبي فانت حرة ، وما بعث به معاوية ملك فهو لك) على
انك عندي ابدأ مثل كرمة غزيرة المكان في هوى ذوبها .

وبينا هي في غيظها ، أقبل بديع يستأذن عليه فتسأه أوفده
. ولاه عبد الله بن جسر الى دعوة الحسين . ولكنه ما مثل بين
يديه حتى رأى مائة قلبه مرة أخرى ، بيد انه في هذه المرة كان

من ملاك . كلا . لا ارد ان اخن يدي بديعاً العائش في خيالي ،
ارد ان لا تشوه صورته في نفسي ، وانا اذا اجتمعت الى بديع
ستمد يده الى تشويه مما استوى في خيالي عنه ، ولكن بديعاً
الخيالي محب الي الحب كله واثق ان اظل متشحة به متشبة
بتأليته . فكان طابعاً ان كنت اتواري ، كلما تعرض لي بعد ذلك
وهذا ما يحدث اذا لم يكن الايمان فكرة في النفس ، بل كان
مقدرة في الروح او ازمة في الوجدان . وكلما كان الايمان المرء عقدة في
الروح تكون عوائقه قاصرة على من يشاركه هذا الايمان دون
سواه . بل يتمدى ذلك فتساوره ترغبات تتحرك معها كراهيته
وتتحرك معها تعصبه . اما الفكر المجرد فانسه لا يعرف تعصباً ،
وانما التعصب عقدة في مكان الوجدان من النفس ، فهي تتحكم
بالعواطف على لونها . وكلما كان الفكر اكثر ضيقاً والوجدان اكبر
مقدراً ، فهناك يوجد شر انواع التعصب ، وعنده يستضيئ المرء حتى
يوجد من لا يشاركه عقيدة الايمان . ولا شك ان هذا بعض من
طبيعة الانانية في الانسان ، فاذا كان في الدين فكرة ايمان فهناك
تدين صحيح على نبح انساني ، واما اذا كان في الدين فانية ايمان
فهناك أخطر شكل من اشكال اللاانسانية النكراء .

فترة الدين الصحيحة هي التي نجعلنا نحكم الايمان بالفكر
دون العكس ، الذي يتولد من ازمة نفس ويولد ازمة نفس وحياة
ايضاً . اما الفكر فليس يقبل عقدة بل من وظيفته ان يحل العد
في النفس الانسانية والحياة والوجود ، وهو اذا قبل العقد احياناً
فاذا يقبلها في ضرب من الامتحان وفي ضروب خفية من الارتياح .
فالفكر يراصد الامتحان او النقد المجرد ، وتقدم الانسان معناه
تقدمه في الفكر الذي ينتج حل اكبر مقدار من النقد . وفي ظني
اليوم ان تقدم الفكر ليس معناه القدرة او السعة في التفكير ، بل
معناه الكفاءة على التفكير بدون اصحاب اي يتجرد للفكر ،
ومن ثم لا نحب او نكره ولا يضر بنا القرب او البعد بل نحي
فكرتها ، ثم لا نتصرف بهواطينا تبعاً لها .

ليتي كنت اعرف هذا من قبل ، إذن لما جافته ونفرت منه
وظللت في متعة الحب الخائفة . . . لقد رأى بديع مني ذلك الاعراض
فلم يطق الحياء واجترأها ، فذهب على وجهه لا ادري اين وقفت
به يد الاقدار ؟ . ولقد احسست وأهت بمد ما فقدته بالاسى والاسى
الغفيل ، فطلبت السأوة في الشرود بالمرقة ، فاندفعت الى فكر
جديد . فهجرت الهيكل وابتدأت رحلتي وراهم من نقطة هائلة ،

كآبة

عقدت مهدبها على محلم ميت ، ولقت الامها بائسامة
ولوت جيدها ، كما أوت العنق ، على مرهف الشفار ، حامه
ووراء الضلوع ، تنتحب الروح انكساراً ، ذبيحة مستضامه
ماتت الذكريات ، إلا ظلالاً ، حُضنت قلبها ، وأت حطامه
حشرجت لا تعي ، ومالت عليه ، فتمسح الجرح ، أو تدمس سهامه
يلسن الدمع في الجفون ، وغض النظر البت ، لا يرى ما أمامه
غام . واشتت الكتابة عن أم . واغقت على الشفاه ابتسامه
ايه دنياي . . . ثم خطت ببذنها على صفحة القضاء علامه ؟

وصنى فرقتي — مهن

اغنف شعوراً بها . فقد جدت عهد هواه في دمتي ، وقد احالت قلبه الذي كان كشلو تناهي في حب ضامر قديم ، الى قلب جديد
حياة انصب فيه جديد حب ما فصل عنه امر وغد . فتاهت حروف كلماته في فيه ، وقسراً وجم في ذهول ، وتداركها مثل شعوره وغصة
قلبه فاضطرب لونها . والحسين يرى ويشهد ، فاطرق اطرافه ماثبة بالأيام ، مر في خاطره معها ان دميماً ينتهي الى مثل غربتها ، فغير بعيد
ان تكون ذات هوى به وضرب الزمن بينهما ، وباعدهما قدر عاد في دورة اخرى بضهما ، وجدير في ان اكون خط النهاية في دورة القدر
المهمة . فالتفت الى بديع وقال :

كنت على اية ان استقدمك الي يا بديع ، فسقطت من نفسي على مرعد . انت عندني مثل كريم عزيز ، وهي عندني مثل . . . فاستخف
بديع عاصف فرحة كبرى ، حتى كأنه دفع الى الحشد من نافذة بعد ان حيل بينه وبين الباب طويلاً .
ولم ير الا مكباً على يد الحسين يقبلها في موضع تلاقي عليه نثران ، تقرأ وتقرأ . . .

أر أوغيست كونت في الاتجاهات العالمية

بفهم نسيم بنكه

لقد حاول أوغيست كونت معادلة ناجحة في أن يكون عالمياً، بكل ما في هذه الكلمة من معان ومعاني فأنفرد عن سبقه وعصره من طلاء وكتاب وبجانب التفكير ومباديء. جعلته في أرفع طبقة من طبقات المفكرين ولا ريب في أن الأثر الذي أحدثه في القارة الأوروبية وفي العالم يرتبط باتجاهات تفكيره وأسس تعاليمه فقد جعل الإنسانية مصدراً لفروع المعرفة السبعة التي عني بجميعها على قواعد التسلسل والمقارنة والتبويب لثلاثي جميعها في دائرة واحدة دائرة الحياة الاجتماعية وتنتهي إلى ديانة إنسانية تحكم الشعور والأفكار والأفعال في ظل نظام اجتماعي تقرأ في بعض عناوينه الأخاء كيداً والنظام كأساس والتقدم كغاية والتربية كوسيلة وأن حقيقة كلهم باستنادها إلى الحياة المشتركة تمتح على الانسجام بين مصالح الفرد والمجتمع وعلى التأليف بين المداكر ضمن شرائع لا تخرج عن حدود اليقينية من محسوس ومقول . فلا بد مع هذا كله من احترام الحريات الروحية كسواها ومن وجود سلطة روحية تساند السلطة السياسية في تدعيم النظام الأخلاقي من غير أن يحصل اختلاط بين السلطين فالعقيدة الإيمانية هذه بوجودها العلمية والسياسية والدينية تستطيع أن تكون على رأي واضعها هادية العالم كما يستطيع علاؤها أن يكونوا قادة العالم وهادته وأن ينتظموا جماعات وينتسروا في الأرض جاعلين من باريس لهم عاصمة روحانية وهو لم يتردد في أن يعرض على أسراء السياسة والدين اعتناق دعوته .

ينقد الإجماع على أن هذه التعاليم قد بعثت في القرن التاسع عشر تيارات مختلفة فيها اختصار لما جاء من قبل وتمهيد لما ظهر من بعد وقد امتدت من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين بعواصمها وموتاراتها وانتقلت من فرنسا إلى أوروبا ومن أوروبا إلى العالم وتبرأت مكانها بين أعظم الشرائع المسيطرة على الأجيال واثارت سبل البحث أمام الكتاب والمفكرين وهكذا ترى أن كلود

تنتظروا مني أن أرمم لكم صورة كاملة للملامح جامعة الأوصاف من النابتة الفرنسي أوغيست كونت فيها وضع من مؤلفات وأحدث من تأليفات ، وأصموا إلى أن أذكر لكم على سبيل التريب والمقارنة صورة بأربعة الرموز يرجع عهدها إلى ما قبل القرون الوسطى - تتمثل فيها الفلسفة جالسة على عرشها وقد جلس سقراط وأفلاطون إلى قدميها ، ومن صدرها تستدفق الأنهر السبعة للفنون الحرة التي تبدي بدائرة الأخلاق وتنتهي بأفق النجوم . وأمامنا الآن في القرن العشرين صورة أخرى يظهر فيها أوغيست كونت جالساً في مرتبة أعظم مفكري العالم يعالج الفروع السبعة للمعرفة التي تبدأ بالسلب وتنتهي بالاجتماع وتنمكس جميعها في ديانة عالمية جعل نفسها كتابها الأكبر . فالأنهر السبعة للفنون الحرة والفروع السبعة للمعرفة البحرية قد جمع بينها هذا المبكر الفرنسي ونشرها على العالم آيات بنات . وإذا التقينا نظرة على ما ظهر في فرنسا خلال القرن التاسع عشر من آراء وأفكار وطرائق نجد أن تعاليم أوغيست كونت هي التعاليم الوحيدة التي تجاوزت الحدود في تلك الفترة إلى أوروبا بل إلى العالم . ففلت النكر الفرنسي أكل تمثيل وانظرت روح ذلك الصر في وضع الاشكال فلا غرابة مع ذلك أن يقول اميل فاكيه في واضع العقيدة الإيمانية أنه زارع الأفكار والحرك الأكبر في عصره لقوى الذهنية وأعظم مفكر عرته فرنسا منذ عهد « ديكارت » أن في هذا القول تبعوا حقيقة الرجل الذي غر القرن التاسع عشر بنظرياته وأفكاره بحيث لا يكاد الباحث يخطو خطوة في ميدان الفكر الحديث حتى يتبين آثار أوغيست كونت مترددة في أساليب وصيغ مختلفة وفي هذا الصدد قال الكاتب الأشهر ليني بريل بدقة الرسام الشاعر أن تأثيرات كونت بمنزلة مجاري التفكير العامة امتزاجاً دقيقاً قد لا يلاحظه الناظر كما لا يلاحظ المراء الذي ينشقه .

من مثل العلامة ديكوى يعتقد بسم الإيجابية النظريات المختلفة في تعريف فكرة الحق والواجب .

قلما تشهد على صفات التاريخ القديم والحديث عالمياً كاوغيست . كونت تمكن من ان يملك على رجال الفكر مشاعرهم الى هذا الحد ومن ان يجمع في أساليب تفكيره مسائل العلم بأوسع معانيها ومبانيها ووسائل الدين بتفاصيلها . كلما زى رجالا بلغ به حب الاحاطة والشمول الى ان سمى نفسه كاهن الانسانية الاكبر فاصطاع مذهباً يقوم عليه الصلاة ويقدم الضحايا هو مذهب الانسانية التي يماها الكائن الاكبر ووضع لها دستوراً جامعاً لاصول العلم والاجتماع والدين ينطوي بالاخصاص على خمس عشرة شريعة هي دعائم فلسفته الايجابية شعارها السياسي نظام وتقدم وشعارها الديني الايمان بالانسانية والعمل في سبيل الناس . اما شعارها المشترك فينصهر بالعائلة والوطن والانسانية .

وليس الاوطان على اختلاف مواقعها ودياراتها سوى اجزاء واحدة لمشكل واحد مترابطة بحيث اذا اخل جزء منها يخل الجميع بكامله فهو لا يتردد في تجريد وطنه تجديداً يتفجع مقامه وتقاليد وهو يقول ان فرنسا جندي من جنود الانسانية ذو نفس واحدة **جيتار** **سار** **لوي** **بيل** **ميكوف** **الدين** في وسط الازمات الاخلاقية والسياسية وان **لوي** **الرومي** تجاه الامم النازعة الى التسيطر او ان يقف موقفه المتفجع حين يطغى تيار العبرية على التمدن والفوضى على النظام . ففي هذه الآونة المنيعة حيث تضطرب اسلاك الفكر والروح تحد دليلاً في جملة الادلة على ان واضع الدعوة الايجابية قد تبين من خلال القرن التاسع عشر بعض مشاكل القرن العشرين وقد اشار اليها في اتجاهاته الجامعة بلهجة الجزم والتأكيد فانلا ان الفوضى الفكرية ولا سيما فوضى التعاليم قد تحفز نزعات التسيطر وتنتهي بالانسانية الى الثورات والحروب وان السلم العالمي لا يقوم الا على الفكرة العالية . ان في هذه الحقائق اختصاراً مفيداً لبعض العوامل التي ادت الى الحرب الماحضة حيث زى العالم يهبط الى جحيم الحرب منشطراً الى معسكرين بتعاضبات بلدت وسائل التثك والتدمير ولا يرى موقفاً ادعى من هذا الموقف لتدبير قول اوغيست كونت ان جحيم الحرب قد يكون مفروشا بالنيسات السلبية ففي هذا القول يجد القطب الديمقراطي صدقاً سابقاً تنصير يحتاجهم بل نوراً على نود وقوة على قوة يستمدونها من احد اعظم سمثي الفكر الحديث .

نسب ينك

برنار في اتجاهاته الفيزيولوجية قد استوحى اوغيست كونت وكذلك العلم الآخر امير فيا كسبه عن فلسفة العلوم ، اما فيستل دي كولانج ودينان وتين فقد تأثروا كسوامم بذلك الفكر الجبار المسيطر وكان لهذه التعاليم اثر ظاهر في اتجاهات مشاهير رجال الفكر في الخارج كمتيورت مل ودوين وسيفر فان عقيدة الايجابية هي التي اعطت لعلم الاجتماع صبغة علمية عالية واطهرت من خلال الحقائق العامة درجة التفاعل والارتباط بين فروع السياسة والاقتصاد والاجتماع فكان من نتيجة ذلك ان تأسست في المانيا المدرسة المعروفة بالتاريخية واكثر الظن انها تأسست على يد هيجل . وما لا ريب فيه انها احدثت نظريات كونت في توجيه الحركات الاقتصادية السياسية والتطور الاجتماعي وفي هذا الصدد يقول الكاتب الايطالي شياترلا ان للدراسات الاقتصادية ذلت الطابع السياسي والاجتماعي في المانيا مدينة لتعاليم اوغيست كونت وكان من نتيجة ذلك ايضا ان قامت في ايطاليا ذاتها حركة اخرى مشابهة في السياسة والاجتماع والاقتصاد اعانتها على تقدم كيانها النابشي . ولم تقف دعوة الايجابية عند هذه الحدود بل تحطتها الى هولندا وبلجيكا وسكندنافيا حيث تركت اثرها بالغا في ميادين الفكر والعمل وتسربت الى آسيا فكمثال لها اعدادها المستحبة في تركيا وانتقلت الى الشرق (الاقصى) فكمثال لها في الصين وفي اليابان انصار واتباع من الفئة المثرة بغفوا عليها في ما لمعتض بلادهم من تحول وانتقال . الواقع ان تأثيراتها في هذه الامم قد اختلفت باختلاف البيئات وبلغت استعدادها للتطور ودرجة حاجتها الى التجديد والاصلاح واذا القينا نظرة اخرى على العالم الجديد نجد ان اميركا الجنوبية قد تأثرت تأثراً ملحوظاً بالتعاليم ذاتها فالولايات المتحدة البرازيلية كانت من اسبق تلك الدول او اسبقهم للاخذ بهذه المبادئ . فقد رصعت علم بلادها بهذه الآلة من ايات اوغيست كونت ونظام وتقدموهي شعار طريقته السياسية فسطرت في دستورها نصوصاً تحترم الحرية الروحية كسوامها على اساس التفريق بين السلطة النظرية والسلطة العملية والتمييز بين الروحية والومنية وهكذا زى تعاليم كونت حلقة متينة من حلقات الاتصال بين جز . من آسيا وجز . من الشرق الاقصى وجز . ثالث من العالم الجديد . زاهما عامة جامعة يؤثراتها في الجانب الاكبر من الانسانية شاملة شمزل الفروع السبعة للبحر للبرية وقد انعكست في جميع مظاهر التفكير حتى في دوحات الشعر والقصة وتسربت الى اندية العلم وجامعه حتى الى مدارس الحقوق حيث زى بعض رجال الشرع

راحة الضمير ...

بهم سليل الرب

البا ليقرحوا من ماتها ... ولقد ارضيت ذلك المتني متسكاً
اهم فيه ما حلالي بين حفيف الورق ، ونفسة النسيم ، وهويد
الطيور السعيدة ... وكنت احالها سعيدة لانني اتاسعدا ...

وتوجهت ذات يوم الى متني في راد الضمي ، وما كنت
ابله ، حتى عن لي فتاة قروية ، تنطق بسمه نقرها النسق بناعم
الامل ، وبهم يرين عينا العافية عن مرهف العاطفة ، وتشف لفة
جيدها التلع عن سائر الجمال ، فصرفي مرأها عن استئناف التلاوة ،
ورحت اتبعها نظري حتى بلغت العين ، وما هي الا لحظة ملأت
فيها قريتها حتى عادت يشيع المرح على وجهها الزمان . ولما بصرت
لي بين الاغصان ، غاضت بسمتها وقالت تحيي بصوت خافت -
« صباح الخير » فرددت عليها السلام ، وترقبها حتى غربت عن
ناظري ... وعلت انابع المعلقة وقد شعرت بسرور غريب لا
يشعر به الا من عاش في راحة ... ولكنه لم يكن الا
سعيداً طامعاً ، ان لا تشي بعد لحظات ...

ولدت الفتاة لي في ايام التالي ، فاعضت بصرها اذ لحتني ،
ولم تحيي ... ولكنني خلعت منها ان اشد قد اجر خفراً ...
وعلى هذه الحال مرت ايام تسعة ، لم يكن البعد فيها الا ان الفتاة
كانت تاول - اذ تصفي وتحمر وجتها - ان تتكلم ، ان تنطق
بشيء . لعل طرح السلام ، فلا تجرؤ على ذلك او لا تستطيع ...
ولا ريب ان نظرتها كانت تجري الى احكامها الذي تكنته لي
لكوني مدنياً وهي قروية ما يسر عن شعور جديد اضطرب فيها
لأول مرة ... وهذا الشعور الجديد الذي اخاله يوف في مقالتها
شغل بالي فصع عزمي ان انقطع عن القول الى متني ...
ولكن ... الفيتي في اليوم التالي تحت الشجرة كأننا انظر احداً
من الناس ... وعادت القروية الحننا . بعد ان ملأت قريتها ...
واحسنت قبل ان تمخذي انني عطشان - ثم اشدت في المهاد حتى
خلت بان ريقني لن يبلل بعد لساني ... وبقي . من الاضطراب
رغبت الى القروية ان تسقي من قريتها ... ولحقها تضطرب اذ
لم تجد ما تسقي به ، فافا انا البسط سكي ثم اسجها ، واذا هي

« ... واني اذ استبدت تلك الذكرى ، استجدها مذكراً ، في
الصدر هم رائح ، وفي الفؤاد الم مرير ، وفي العين دمة حري ...
واني لاشي الحشية كلها الا يرفع الله عن كامل امر هذا النعم
التامل الذي يزر في النفس فيرمضها ... وإن اوم من لذة قوتي
الا ان يشعر الناس شعوري ايدعوا ندمي ، وية سموني اسني ، عل
في الاكثار من الاستغفار ، الا للفران ، وفي ثوبة الله علي الكبر
الرجاء ، ولبنة حريص ...

... كنت في الثانية والعشرين من عمري شاباً مله جوانه
امل الشباب النضر ، وطبي جنبه امان في الصبا الرفافة ، ولم يكن
يتنصع في الشعور بالي شاب ... وسعادة الشاب في الحق ان يتر في
ذهنه هذا الشعور ... وكنت اوم من امان في التي اترع ،
فزادي مستقلاً ان تضن علي به الايام البيض ...

ولقد كنت لوثر الوحيدة والاعزى الى قلبي ... ولقد كنت
من ملازمة غرتي منذ نعومة اظفاري ، ولقد كنت لهذا السبب ...
الح على والذي في اختيار اكثر المصايف حظاً من المصايف ... ولقد وقع اختيارنا
قسماً من البعد عن جلبة المدن وضجيجها ... ولقد وقع اختيارنا
في تلك السنة على قرية «بوارج» مصيلاً لنا .

اما امدار التي تولناها ، فهي من اروع الدور ، يتسلى للره
منها ان يستعدي بنظاره حدود «الباق» كلها . وكان يلقي انا لفة
ان التبرأ كوسي الطويل لا يبل طرفي في مفاق هذا السهل الواسع
الذي ياتنظم بسم مختلفة الاوان تسر العين وتتعبها ، ولا ينقص اذرة
من دوعة الطبيعة ... وما كان لي الا ان اجلس على الشرفة حتى
اصبح الى اصوات المياه تيجش وتجدد ناعمة هادئة ، تجدد رويداً
رويداً فلا اعرف اين نصب .

عشت في «بوارج» في غاضف من البش يستع من الأمن ان يندسه ،
وكانت كل مفاق الطبيعة هناك تجدوني الى التامل ، فغربت
بالطالعة ، وكلفت بالقراءة . فكنت اذا شرعت طيور الدوح
تصدح ، اصططب كتابي الى شجرة غينا . توي من شرق دارنا ،
ويرى الذي يتني ظلالها الوارفة عينا قريية يردد سكان القرية

تقبل قربتها فيعندد الماء على كفي خصرأ صائياً ... وكلما لحظت
ساعتئذ ان كفيها كانتا ترتعشانوهي تصب لي الماء ... وشكرتها ،
فودت لي الشكر ببسمة كلها سحر ودلال .

واذ عدت الى داري في نار الظلمة ، استشعرت لومة من الضيق
يازعج هدوني ... وكان طليعاً ان يحدد الوجدان عزم الانقطاع
عن ارتياد المتناً ... وكان عزمأ حازماً ألبه الاعتقاد بان من يفرض
الي السعادة انما هو بالها اذا حاول ان يبعد اي هم من ان يعروه ،
ويقتضي على اي يأس من ان يتسلكه ...

والحق ان فكري يومذاك لم يزل لحظة من التدخل في الشعور
فكان يقارن بين ساعاتي الماضية التي لا تحمل غير الاكسراح
والهدوء والصفاء ، وبين هذه الساعات التي بدأت ضروب من
الضيق والمهم تشويها ... وبلغ من حبي لهذا الرأي « انما السعادة في
هدوء البال » ان اتخذته عقيدة فكرة عال على نقضها ... واذأ
فلقد عزمت ان احتفظ بهذا الرأي ليقودني في ايامي المقبلة ، كما
قادني حيناً في ايامي السافرة ... وتقلب الفكر على الشعور ...
وتبوءت في اليوم التالي كرسى الطول على الترفه المصلحة على
الشجرة الوارفة ، وبعد هنية لحت القروية مارة تلحظ اليها ثم
حين لم تلفد احدأ اخذت تحيل الطرف حولها حاللة متوزعة على الفكر ...
وكذلك تقضت بضعة ايام وانا ملازم كرسى على الشرفة ، وهي
على هذه الحال من الحلية والاضطراب . ولحقتها ذات يوم تطلف
على الشجرة وتسلمت الى ظلال الوردف كأنها تستجم ... ثم انفلتت
عائدة من حيث انت لم تملأ قربتها كأنها ضلت طريق العين ، او
سهت انها تحمل قربة . ولقي لاحتها كذلك ان في عينها عزمأ
جديداً استحقته ...

وعلت ان والدي تشتكي قلة الماء في الهار وترجوني ان
اجت من يزودها منه على قدر حاجتي . وبجئت طويلاً فلم اهد
الى احد . ولحت والدي في طاب الماء حتى بلغ احكام الغضب ،
فلم اجد بداً من القول الى متينأ انتظر ان تمر القروية الحسناء
عليها تقبل طلبنا ... وكنت اعلم ان في ذلك ابذاء لي ، ولصكن
لحاجة امي اكرهني على قبول هذا الاذى ... ولما انتظر الفتاة
فلم تمر ... ثم ترقبها في اليوم التالي فلم تغار ، فرجت ان قد
يكون تقاعدا عن عشيان العين شغل ... ولكن ثلاثة ايام مرت
بعد ولملم بالمتينأ . وعزمت ان اترعى يوماً آخر ان لم تغار لي فيه
اضطرت الي ان احمل الماء بنفسي الى دارنا كي اخفف من ضيق
امي وغضبها ...

وهذا هو اليوم السادس يكاد كله يتجرم ... وهأنذا اعد
الى داري وقد داخلني بعض الاكسراح وآثرت ان تحمل هذا الجهد
على ان تحمل ذلك ... واني في منتصف الطريق اذ ابصرها آتية
مطرقة ، ثم رفعت بصرها فرأيتي ... وتسنى لي ان لاحظ انها
عبرى عجزونة . وفعجأاً رأيتها تعزم على المعني ، فلم ادر اي شعور
عراني فاقفقتها ، وحدثت في وجهها اريد ان اكتمل فلا يتأتى لي
ذلك ... ثم سمعتها تقول بنبوة حادة دون ان تنحي الي بصرها :
— ماذا تبغي مني ؟ ... دعني ... من انت ؟ ... ان لا
اعرفك ...

... وكان ضيق شديد يختلف علي فيشقق صدري الحافق
الملح ... وكذلك لم ادر كيف تقدر لي ان اسارع بالقول في نعم
مستطيل :

— اوه ... انا اعرفك ... اعرفك ... يا ...

ارتج على ، فلم يتم . ولكنني لاحظت ان وجهها يوشك ان
يتهلل ، وودت اليه فأخفت فنته بجماع فولدي ... انه وجه
رائع فيه حسن وفيه سحر ، وما كان يكون هكذا رائعا لولا
ان حبال الالم وساء الاسى وطلائع المرض قد رصت على تقاطيعه
وحالها ... ثم سمعتها قبل اسفارها المحسب ، فلم ادر ماذا تروم
ولكنني سمعتها الى القول في صوت خافت :

— يا ... انا دارنا مفتارة الى المياه ، فهل ترضين ان تزوديا
ببعض ما العين ؟

فوفعت الي عيتين حائلتين وارتقي منها نظرتين ساهمتين ،
فيها باث وشكوى ... وتصنعت انني لم افطن ، واستسلمت لها
الجواب ، فقالت بصوت هاس يشف عن هم مكبوت ، واسى
مكثون ، صجبت تهيدة طويلة :

— نعم ... يا معلمي ... نعم يا سيدي ...

والثيت قافلا الى البيت ، وعند المنطف لحظت اليها ،
فالتفتا حيث هي ، لا تريم ولا تحني ... وكان طليعاً الا يميني
علي ان لفتاة القروية فحوي صولة وكفأ ... وسرعانما عزمت الا
أستلين لتذلل قلبها ، فأصبح من جماع عاطفتي واحد من حين روحي .
وكنت اثق ثقة لا يخالفها شك ان ليس في غير ذلك ابقا . للسعادة
التي ارمعها واحاول جدي ان احفظها ... واذن ، فليقب القواد
في أسأه وعجبته ...

وحين افقت في صباح اليوم التالي وخرجت الى الشرفة ، ما
لبث ان طلع علي طيف يحسب قربة على رأسه ... انها هي ...

« مياسة » .. ويا له من قوام مشوق يتخطر في دله ، ويتأرجح في فتنة ..

اذ ذاك فحسب صحّ زمري على الاّ اظهار لها ما حتمنا في « يوارج » ؛ ولعل لي في هذا العزم تحمّزا من الصلابة للاخراء ، وتقية من الوقوع في الشباك المحظورة ، ولعل لفتاة فيه كذلك دافعا للانصراف عني ..

وكان مما هيا لهذا العزم الجلو الصالح هذا الكتاب الذي وردني من صديق لي يستأزني فيه الى داره في مصيفه الجميل « كيئون » .. وما زلت اذكرك انني رأيت في منطف قريتنا الاول - بعد ان استقلت السيارة قاصداً قرية صديقي - بدأ بياض كانت تلوح بمندبل اخضر .. ونظرت من نافذة السيارة الخلفية فأثّيح لي ان ارى تلك اليد البيضاء تهوي بذلك للمندبل على العينين ..

زحبت لدى صديقي في « كيئون » تسعة ايلم ما كان اعنيها واحلاها .. وإخبال ان حلاوتنا ترجع الى انني ابتعدت رداً من الزمن عن يحاول ان يشغل بالي .. وحين قلت الي « يوارج » يترني امي بوجه مشوق .. ثم علمت منها انها عادت تشكي قلة الماء لان القروية « مياسة » قد انططت عن الجبل .. منذ ان غبت .. فسرني الثبا وقلت في نفسي « لقد نسيت » .. ولكن امي عادت وبلغني انها التستبا في دارها فلم تجدها وان اعلمنا في بحث عنها متواصل وفي خوف عليها شديد .. ولم احاول ان اخفي عن نفسي ان لذلك كله صلة في مباشرة ؛ بيد انني اصطلحت اللامبالاة ..

وهبطت في اليوم التالي الى « بيوت » بنية في الترويع عن النفس ، ولكنما كادالمساء يهبط حتى كنت عائداً الى « يوارج » .. لا ادري ماذا كان يربطني بتلك القرية المشؤومة ؛ وعلت اذ بلغت القرية ان « مياسة » قد عادت واستأنفت عملها ، وان الذي حاولت ان تستبّا سر غيبها ، فلم تفلح .. انا شيئاً من هذا لاكثر له ؛ انما الذي اسقط الحب .. انها عادت .. فلا تخصم بعدُ بعينيكي !!

ونهضت في اليوم التالي باكراً فقصدت الجبل .. الى حيث لاتراني ولا اراها .. الى حيث يضفي عليّ السكون اثواب الهناء ، والى حيث يسبح عليّ التعكير استار الهدوء .. ولما رجعت الى داري الاّ بعد ان طلعت الشمس ، اعني بعد ان انتهيت عمل القروية .. وحين وجدت الدار التستبت امي فلم اجدتها بمرحبت انها لدى احدي الجارات ؛ ولكنني حين توجهت نحو غرفتي تطرقت الى معني نجيب شامي ، فاندفعت ظاناً ان قد مس امي سوء ، ودخلت الترفعل على

عجل .. وما راعني الاّ ان الهيا هي « مياسة » جالسة على كرسي دان من سريري ، حانية رأسها فوق قربتها وضعتها على ركبتيها ، تشيح وتثحب .. وقادتها رجلاي على رغم مني اليها .. وهانذا اري شعرها الاثتر النعني متوجهاً رائياً .. واذ لامست بكفني عاتقها تهبّت مذعورة ، ثم انتصبت واقفة ، ونظرت اليّ غاضبة ، وقالت بلهجة حازمة حادة محملة بالاسى والتضيب :

- : ماذا تبني مني ؟ دمتي ، من انت ؟ .. انالا اعرفك .. ولكننا ما كادت تفرغ من التعلق بهذه الجملة ، حتى سكن نفسها فجأة ، واتست حذتها ، ثم اثحت عني بصرها ، ثم عادت فصعدت في لحظة اخرى .. وفجأة انقلبت اساور وبجها .. فارتقت على الكرسي تقول بنحيب هادي :

- آه .. حلمي .. سيدي .. لمعلي .. نعلت ساعتي على غير شعور مني باسمها وسألتها ماها ، فلم نجيب فجلست على حافة سريري عن كتب منها ؛ واعلمت سؤالي .. وانفجرت دفت اليّ حين ادرضها بكاء لا ينقطع بمرورهما دمع صليب لا يجف .. ثم التفتت الى النافذة بمواعدت ذكر اسمي بشبهة طويلة ومعلت كفاً ، فأخذت به كمني ، ولم استطع ان اقوم رغبتي فاضطبت بهزني الى الارض ، ولأن يدي تحترق بنار يدها .. وتكلمت « مياسة » الزرورية الحسناء زمناً طويلاً وانما لا احاول ان استصبتها ، ففكرت عن جميع مواظفها منذ ان رآني الى ان قصدت كيئون ، واعلمت انها لم تستلعب بيدي صبراً ، فخرجت من قريتها وسارت يرمين كالمين تسأل الناس عن حكيون وعن ابعادها ، وكانت آخر جملة قالتها - : وتطفلي لي اناس فاعلموني من طماهم ، وآووني في ..

واذ ذاك غلبها البكاء ، فأثّرت الكف عن الكلام .. ورأيتها هذه المرة تحني رأسها فوق وسادتي ، ثم تمرغ خديها بغطائها الرقيق فتبله .. وكان الشعور المبيح يتكاثف علي بالحيوة والاضطراب والتردد حين سمعتها تقول :

- حلمي .. حبيبي وتقدمت منها فجأة ، فرفعت رأسها عن وسادتي ، وطوقت كتفها بذراعي ، ثم اهوت على شفتيها بقلعة عميقة شديدة .. وانهضت اريد الخروج ، فثقلت بذراعي وقالت بلهجة تشف عن الامل المريض :

- يا حلمي .. يا لمعلي .. اتحتوني خادماً في داركم اتزل معكم الى بيوت ا

تشق طريق القوية ، واذا ذاك فحسب شعرت بأن الكابوس الذي يروح تحته صدي يسقط علي ... لقد تحورت من محبب الألم ، وانطلقت من اسار المم ...

اما هي ، اما « مياسة » القوية الحناء ، فلتفتل ما بدا لها ... وبلغت السيارة منطفة القوية الاولى ، فاذا في ابراهي ... مياسة .. متصبية بقماتها القارعة المشوقة ، باصمة عن ثغرها النسق مرتدية اجل ثيابها ، متجملة مقترنة .. كانت على جمال لم احلم به يوماً ...

واشارت بيدها تسترقف السائق ، فاذا يوجيني تحومان من الحق ، واذا بصدي يتشق من الضيق ، ولم تفاسك ان اعبت بالسائق الا بلفت ولا يباوي عليها ... فتابت السيارة سيرها ولكن على رود ...

وهذا نفي وسكنت رائعتي .. وملت الى النافذة الخلفية اود ان اودع القوية بشارة من يدي .. ورأيت بسمتها تقيض .. وسرعان ما كثر وجهها .. ولكنها مع ذلك ما زالت تتبع السيارة نظرها .. وفجأة لفتها ترفع ذيل رداها للفضاض كأنها تتأهب ... هاتفتني بقليل .. فرجع الي غضي ، وصحت بالسائق ان اسرع .. ولما انزلت السيارة مسرعة حتى اسبلت ذيل رداها وتوقفت لحظة وقد اجبت حديثها وجعلت عينها ، ثم عدت مرة اخرى ووقفت على شفا هاوية على جانب الطريق الايسر ورفعت ذراعها .. وتشرفت بنظري ، فلم ار احداً ..

عراني حوار شديد ، فارقت على المقعد منها وكادت افقد رشدي .. فصمت فجأة بالسائق ان يلف ، وانطلقت اعدو مجنوناً غير واع ... حتى اذا بلغت الشفا ، رميت بنظري في القطار ، فاذا في اري جسداً نثياً ناهداً ... يشبظ ... واستلمت ان الملح على مقربة من الرأس صغراً صغيراً بدأ الدم يسيل عليه ... انه دم احمر ... ما اقناه ...

في تلك اللحظة فحسب ، ارتضت العين ان تستعبر بدعمة واحدة ... ولكنها دمة لا يزال حرها يلهب جنني ، ويجرق اشغاري .. بيد انني منذ ذلك الحين الى ساعتي هذه لم انتقع عن التساؤل : أليست الرغبة في الابقاء على هدوء البال ، هي التي بعث بكل هذا المم الى البال ، وبكل هذا الشجو الى الضيق ؟؟

سزيل اليريس

فلم ازد عن وعدا خيراً ، وخرجت من الدار يسوقني شعور مبهم حائر ... وحين قطعت من الطريق شوطاً بعيداً توقفت فجأة وقد عراني غضب شديد ، قد يكون غضباً على نفسي ، اما الذي يروم ان يعيش هادي ، البال ... ورجعت الي عيدي تلح على الفكر الحاشأ شديداً حتى لتفرق الشعور في اللابعدان ، وتلكني الاسف على ما بدر مني ، وعلى ما تبجله نحو الفتاة من الوعد والرضى ... وحين كنت في طريق العودة - وان الليل ايشد اسوداده - احسست ان الشباب يعود الى الوعي .. إنه الشباب يتقل ...

وافضيت الى والدتي ليلتذاك رغيتي في تسجيل هبوطنا الى بيروت ، وباني لم اصب في هذا الجبل اي خط من السادة والسرور فوافقت على رغيتي قائلة انها هي الاخرى لم تجد في القوية مبتها .

اما الوعد الذي حلت فيه بعض الامل القوية ، فكان وعداً مزيفاً .. ذلك ان خادمنا في « بيروت » كان ينتظر عودتنا وهو في خدمة بعض افراد العائلة المسمارين . غير اني لم ارتض بعد ان اصدم القوية بتيقن جديدة ، لانني كنت اوقن ان سيكون لذلك اثر غير محمود الماقية ، فكنت احادها من غير مبالاة ، وكلها من غير تقويل . ولكنها مع ذلك كانت تدل بارادياً بشع الحذل في عيها الباسم .. وكانت تساني عا وعيها فيها خيراً ، فكنت اجيبها بانني لم أشر بعد على والدتي . فتلكني بعض المتاب اللين المادي . وبما لاحظت في ذلك الروح من الزمن انها كانت تعمل مجد لم اعهد عليها ... وكم للامل من اثر في حياة القلب العيداً ..

وتعطينا العودة ، فاسترق الاستعداد والتهور . ايأاً ثلاثة حاولت فيها جهدي الا اظهر للقوية وجهاً لوجه حتى لا تخرجني اكثراً مما فطت في سواي عا وعدتها فيه خيراً ... وكانت هي الاخرى لا تتوق بعد ان تسألني ...

واشرقت شمس اليوم الرابع وإن هنوني يرجع الي رويداً رويداً . وانهسكتنا في نقل المتاع الى السيارة التي استقدمناها باكرأ لتقلنا الى بيروت . وصبت ان لم ابصر مياسة تآلتنا على نقل المتاع ، ولكن صدي كان متسرحاً ، ورجوت ان يكون سها عن بالها انه اليوم الموعد ، فاتجيب ما قد يكون له في نفسي بعض الاثر او كله ، وحلني فرح شديد اذ فرغنا من نقل المتاع ولم تب « مياسة » . فاستعجلت بالسائق بالضي ، وانطلقت السيارة

الخيال الساري

انبتني عتماً يحول بيني كـ وما لا يحول من اسرار
لا بعيني المسأى من النور اشرفت على كنهها ولا افكاري
كلما ضجت الحقيقة في اذني اخلدت للخيال الساري
وتسمنت ذروة الافق الأعلى الى كل كوكب سيار
فأرتني عيناك أنك في آفا قعا بعض هذه الافار
وعلى الارض بعض هذي التما نيل من الناس او من الاحجار
وأرتني عيناك اني والسكو ن غريقان منك في تيار

عبر الفنان

الاماني أعقلت بي عيب كـ وعيناك رمز هذي الاماني
كيف لا ارصد النجوم لعيني ك طوال الدجى، ولي عيناك
او ما جالنا، وقد خفق الحما لم، من وجنتيك في بستان
تملاً النفس منه بالامل الغض رومي عبقرية الالوان
لا عيون الراي تفوز بما لبصر منها ولا اكف الجاني
إنما هن في السما مثل الفن وفي الارض عبر الفنان

محمد علي المرماني

اثر الغزالي في المدارس المتأخرة

بمعلم زهير فتح الله

ليسانسيه في الفلسفة من جامعة فؤاد الاول

بالتقدم الذي يتطلبه فإن تأثيره فيس ان بعد من المدارس المتأخرة . وعلى ذكر المدارس المتأخرة هذه يجدر بنا ان ننظر اليها نظرة تفصيلية بعض الشيء ، اننا ان فعل ، ن ان النشاط الفكري في تلك الحقبة من الزمن ، كان عليه ان يرتدي احدا لدرية التالية :
١ - الفقه الحنفي ٢ - علم الكلام ٣ - العلوم الدينية

٤ - العلوم الدينية ٥ - التصوف .

كما لا شك فيه انه كان للغزالي تأثير في بعض هذه الفروع فمن أتى هذا التأثير ، ولم كان للغزالي تأثير يفسده البعض ويستجبه الآخرون ؟ ان السبب في ذلك بكل بساطة ، هو ان الغزالي كان له رأي في كل من هذه الفروع يخالف بعض الشيء الطريق الرئيسي الذي كان يتبعه هذا الفرع ، كما انه كان من حقله ان هذا التيار قد صادف قبولا عند عامة الناس فاعتنوه

اما طلبة هذا التأثير وعقده والدافع اليه فإني سارحي . الكلام عنها لما بعد سرد اقوال بعض الباحثين في الموضوع . يحدثنا مكوندن من حجة الاسلام فيقول :

« ان الغزالي كان في الفترة التي تولى التدريس فيها في المدرسة النظامية . في بغداد شاكاً كبيراً ، لم يكتب باحاطة الحقائق الدينية يالة من الشك بل تعدى شكه في هذه الحقائق الى ذلك في امكان اي معرفة يقينية . ثم عد اذ كان في خدمة نظام الملك الى الرد على الامامين والتطبيين والاشاعليين وكلهم باطنية .

ولكنه من بعد الضائقة التي مر بها اصبح يأخذ بذهب علمي وكان يعلم الناس ان العقل الفعال لا يجب ان يستعمل الا في هدم الايمان الذي يمكن ان ينشأ عنه نفسه . كان يرى ان النظام الفلنسي الحانص لا يمكن ان يكون متيناً » .

ويرى مكوندن « ان المتكلمين الذين جاؤا بعد الغزالي لم يقهوه او اتهم لم يدعوا مذهبه ولكن يظهر ان الاسلام الحديث يترق الى الرجوع الى عريقته » .

هذا العنوان قضية يتطلب شرحها ان نعود الى خط ومهم كبير نضمه عامودياً على خط الزمن عند فجر القرن السادس الهجري فننقل بذلك بين حجتين طويلتين من احقاب التفكير الاسلامي : حقبة اولى تسبق هذا الخطأ الذي توجهناه ، وليس لنا بها علاقة مباشرة او جدية

وحقبة ثانية تتبدي . بابتداء ازمة نفسية اصاب احد الاساتذة في المدرسة النظامية في بغداد حوالي سنة ٤٨٧ هـ . ازمة تطورت وتعدت ثم انتهت بعد ذلك كسكل الازمات الى حل يبالغ البعض في قيمته ، فيجعله سداً كسداً الصين وقف في وجه انواع التفكير المخالفة للعقيدة السنية ، فصار يسيطر على الملأين من مسلمي المصور التالية ، كما يقال البعض في الازدراء يا كاهنة تانظر العقلي - ويذهب الى انها لا تصدق ان تكون زهرة يانعة من ازهار هذا البستان الذي لا يعرف الكمال اعني به العقل الانساني . زهرة اذا كان لها ان تمتع بالصدارة في هذا البستان مدة من الزمن فإنه لم يكن لها ان تطنى على موجودات هذا البستان الذي حواها وتشتأثر بالحياة من دون هذه الموجودات .

عاش الامام الغزالي من ابتداء النصف الثاني لقرن الخامس الهجري الى خمس سنوات انقضت من القرن السادس وصر بطوار عدة من كفالة عند احد الصوفية الى دراسة لفقه عند امام الحرمين ، ثم ممارسة للكلام والجدل ، حتى انتهى امره بعد الاتصال بنظام الملك الى منصب الاستاذية في المدرسة النظامية في بغداد . وفي هذه الفترة الاخيرة يروي لنا مترجمه انه انكب على دراسة الفلسفة حتى اخذ منها بنصيب يتناسب مع رغبته وتبوءه للعلم . وقد تكلم الغزالي نفسه عن تلك الرغبة وذلك التبرير بقرار انها كانت له منذ طفولته فطره وجبلة . ان الثقل عليكم بسر ترجمه الغزالي كما اني لن احاول ان ابسط مجمل آرائه وافكاره عن مختلف المواضيع الفلسفية والحكومية والصوفية والدينية ، وانما سأعرض الى ذلك

لقد كان النزالي يشعر بعد ما رأى من حوادث زمانه في اواخر القرن الخامس ان الاسلام بحاجة الى من يقوم فيه بحركة تجديد تشمل اول ما تشمل محاربة المهرطقة والابادة .

لذلك رأيناه بعد الى الفتنة فيترع عنه تلك المكانة العالياتي كان يستمع بها ويظهره على انه ليس من صلب الدين . كما انه اظهر عدم فائدة تلك الدقائق الجدلية في علم الكلام ، وءارض تلك النزعة التي كانت ترمي الى حصر ايمان العامة في مقالات يذهب اصحابها الى اثباتها بالمنطق تلك المقالات التي كانت تسمى العقائد .

ثم كانت له خلال ذلك نزعة الظاهرة الى التساهل ذاهباً في ذلك ضد المتكلمين . في كل ذلك اعتبر النزالي محي الدين وعبد الله . لقد رد النزالي الفلسفة الى آراء واضحة خالصة من ذلك القوض الذي كان يحيط به عند من سبقه من اشتغل بها . وكان يرى ان الميتافيزيقا يمكن ان تؤسس على التفكير فقط . ونستطيع ان نعتبر هذا تهمة لتلك الاداء التي كان يقول بها الاشريون من قبله . واذا كان من تجديد يمكن رده الى النزالي فهو انه جعل للتصوف مركزاً ثابتاً في مذاهب اهل السنة . وكان بذلك مسكناً لعمل القشيري .

ولقد كان النزالي يرى انه اذا كان **اللاهوت** من **الدين** على صحة العقائد التي وصلت اليها من السلف كان **اللاهوت** الدليل **اللاهوتي** الا من طريق تلك الحالات التي تحصل للعادى .

والذي يجب ان نلاحظه هو ان النزالي رجس الى الحق عن طريق الحرف . ونحن لا نملك انفسنا من التعجب عندما نشاهد منه هذا التكرار المستمر لحبه لله وقد يذهب بعضهم الى القول بتأثير النزالي في العصور الحديثة في أوروبا وذلك في ملبرش وبلسكال والقديس توماس مثلاً .

وتقرر ذلك هو جدي اكثر مما يظن بعض الذين تسوهم مشاهير ظاهرة او حقيقة فيمدون الي تقرير التأثير لبعض المتكلمين على بعض دون ان يكونوا قد قاموا بالتحقيق الكافي المنع لاثبات ما يذهبون اليه .

ومهما كان من امر فان تقرير مثل هذا التأثير يتطلب توسعاً في البحث يضيق به مجال موضوعنا ، لذلك نكتفي بالاشارة الى امكان وجود هذا الاثر ونكتفل بعد رأي مكندولف في النزالي الى كارادفو حينما يتكلم عن حجة الاسلام فيقول :

ان الدكتور ساشو الذي كتب مقدمة لكتاب البيروني ،

وكان موجباً به كل الاعباب ، اصدر حكماً قاسياً على النزالي حينما قال : « ان القرن الرابع كان نقطة انحراف في التاريخ الفكري للاسلام . وما تثبت الاعتقاد السلفي وتحكمه حوالي سنة ٥٠٠ هـ الا قيد طوقت به الانحياز المستقلة فلم تقم لها قائمة بعده . ولولا وجود الاشري والنزالي لكان العرب امة تخرج امثال غالييه وكبلر ونيرتن . »

يقول كارادفو تطبيقاً على كلام ساشو :

اننا في الحقيقة لا نستطيع ان نحاري ساشو في حكمه هذا . وذلك لان شروط انتاج العقيدة لا تزال مجهولة او في حكم المجهولة . وفوق هذا يجب علينا ان نقرر انه لو كان لعقيدة قوية كعقيدة غالييه وكبلر ان توجد في الاسلام بعد النزالي لاستطاعت بما لها من حيوية وقوة ان تنصل من تأثير ذلك الاعتقاد السلفي الذي كان يكون الاطار للجمهور من المتكلمين . وفوق ذلك فالقرن ان نجاح النزالي في دعوته لم يكن كاملاً لان ابن رشد حاربته اولاً ، وثانياً لانه وجد بعد النزالي من ذهب هذا المذهب النقدي او السكي فيما يتعلق بالثبات الذي خلفه لنا السلف . واكثر من ذلك فنحن نرى ان النزالي لم يستطع ان يكون المسيطر حتى في مملكته **الاندلس** . **الاندلس** من نحو هذه المجالات الكلامية التي كان يفتن اليها كثير من المتكلمين .

اننا كما ان الامم المذكورة تافم ففسر هذه الرغبة التي شعر بها الفكر الانساني في الشرق ، كما شعر بها الغرب في الاطنتان الى عتيدة ثابتة . . . لماذا نزع نحو التفكير في الشرق ابان تلك الفترة الى نوع من المحول والاستكانة ؟ . . . لقد بقي هذا مسراً من الاسرار ، حتى لو لم يكن الامر كذلك ، فانه ليس لنا ان نرجعه لشيوخ او لشعبي على التفكير عامة .

انه من الممكن ان نزع ذلك الى نوع من التراخي والكلل في الجنس كما نستطيع ان نرجعه جزئياً الى بعض الاسباب السياسية والطريف في المسألة ان الرغبة في الاطنتان الى سلطة قديمة لم تكن قاصرة على الاخذين بذهب السلف ، بل انها كانت تتم المسكر الثاني في الفكر الاسلامي ، ونعني به معسكر الفلاسفة او المتحررين . يظهرنا على ذلك ان ابن رشد كان يحل ارسطو ويشلق به اكثر مما كان يله ويتعلق به المتقدمون .

ولقد كان اسلمة القدامى في العلم تأثير كبير في الغرب ، كما كان لادين سلطة تقرر نفسها في كل مناسبة . لذلك كان على غالييه وديكارت ان يظهروا ان لا يكتفينا بصد هيئات السلطة

الدينية ، بل كان عليها أيضاً ان يجاربا نوعاً من السلطة الطيبة التي كانت هي الاخرى تدعي كمال نفسها وتسمى الى اخذ الناس بالاعتقاد بهذا الكمال ما وسعت الى ذلك سيلا .

اذن مظاهر الرجوع الى سلطة من السلطات في التفكير كانت عامة في تلك الحقبة من الزمن . ولكن الذي يفرق بين الشرق والغرب ، هو ان الغرب ابتدأت فيه حركة مقاومة لهذه السلطة منذ عهد النهضة واستمرت الى ما بعد الثورة الانجليزية ، في حين ان الشرق لم تبدأ فيه هذه الحركة الا منذ اوائل هذا القرن .

ومعاً يمكن من امر فاننا لا نستطيع ان ننكر مساهمة في علمنا من عظيمة ونظر . نستطيع ان نقول عنه انه لم يكن ذا ترعة عليه بالاجال . وهذا صحيح لقد كان مفكراً اخلاقياً ودينياً أكثر منه اي شيء آخر .

ولكنه في هذا بالذات كان أكثر دعة الى التجديد في كثير من النواحي وبالتالى في الاجال من خصيه ابن سينا وابن رشد . انفع حربه للفلاسفة ، قد حارب مقدماً ضد هذه المدرسة المتكلمة وهذا الترابط في استدلال القلي ، بل نستطيع ان نقول انه قد حارب فلا ضد اي سلطة يمكن ان تفكر في اهل التفكير انه بحث عن حدود الفل ، كما اظهر يوحنا الفيلسوف في مادة الايمان . لقد كان اخلاقياً مرفعاً ، كما كان محلاً وتفسيراً . على طريقة المحدثين تقريباً . لقد وضع علم النفس قبل موضع القياس . ونحن اذا اعتبرنا نيل روحه ، وعظمة حياته ، واتساع نتاجه ، ودماثة اخلاقه ، وامتيازه فنه كتاب ، نحن اذا اعتبرنا كل ذلك فاننا لن نستطيع ان نتخلص من الحكم بانه من اكبر المثليين للفكر الانساني في تلك الحقبة من القرون الوسطى .

ويقرب رأي دي بور من رأي كارادفوحين يقول :

« وكثيراً ما يقال ان التزالي قضى على الفلسفة في الشرق قضاء مبرماً ، لم يتم لها بعد قاتمة . ولكن هذا زعم خاطي . لا يدل على علم بالتاريخ ولا على فهم لحقائق الامور . فقد بلغ عدد اساتذة الفلسفة وطالبا بعد عصر التزالي مئات بل الافاً . وظل علماء التوحيد متمسكين بادلتهم الكلامية يؤيدون بها المتكلمة ، كما لم يترك علماء الفقه تدقيقهم وتقريراتهم ، وكان في الثقافة العامة حظ من الفلسفة . نعم لم تستطع الفلسفة ان تحرر لنفسها المكان الاول ، ولم يتيسر لها ان تستعيد المكانة التي كانت تشبع بها من قبل ، وكان الفلاسفة عرضة للاضطهاد في بلاد كثيرة ، لانهم

اعتبروا خطراً على الدين والدولة ، على ان هذه الحالة لم تكن سوى علامة من علامات تدهور عام في المدنية . »

هذا جعل آراء بعض الباحثين في هذه الشخصية الفذة التي نسمى الى تبيان ما كان لها من اثر ، اورثته ونحن لا نقصد الى مناقشته واطار ما نعتقد فيه من مواطن الاصابة ومواقع الزلل وانما قصدنا من ايرادنا ان يكون للقارى وجهات من النظر متعددة يوازن بينها ويقارن ، حتى يخرج لنفسه بالرأي الذي يستريح اليه .

كنت ذكرت ان التفكير الاسلامي في تلك الفترة كان يرتدي احد الاقواب التالية :

إما الفلسفة الهلينية ، او علم الكلام ، او العلوم الدينية او العلوم الدنيوية او التصوف . رغم اننا لا نستطيع ان نطلق على هذه الاربعة المختلفة اسم المدارس (حتى ولو تأخرت) ، واننا نسعى الى بيان تأثير التزالي في كل منها .

الفلسفة الهلينية : لو نظرنا الى نتائج التزالي الذي يدور برجه من الرجوع حول هذا الفرع من التفكير لرايناها يقف على المنفذ والمضنون ومقاصد الفلاسفة وتهايمهم . ماذا تركت هذه الكتابات من اثر ، واذا سلنا لها باثماً ما ، فما هي طبيعة هذا الاثر السلبية هي ايجابية ؟ . الحقيقة ان تقرير وجود هذا الاثر او عدمه امر شائك وصعب التحقيق ، مما لا شك فيه ان الفلسفة - بالاسم المسمي لهذه الكلمة - قد اصحابها ومن انحلال بعد التزالي ، ولكن هل يرجع هذا الوهن وذاك الانحلال بالذات ، الى المبهمة التي شنها التزالي على الفلاسفة ومعتقداتهم ؟ . ليس من الثابت ان الركود الفلسفي قد ظهر واضحاً بعد ابن سينا ، وذلك ابتداء من اواسط القرن الخامس تقريباً ، اي قبل ان يوجد التزالي او على الاقل قبل ان يكون قد ان مؤلفاته ان تغفل فعلها المهدر في هذا النوع من المعرفة ان اثره هنا اشكال علم الاجتماع القائم حول طبيعة التقليد والابداع في المجتمع ، كذلك لن اقطع بين تارد ودور كرام فيما اذا كان الفرد هو الذي يبدع فيتمتع المجتمع ، او كان المجتمع يتخضع فيتمت رسوله بغير من اداء . يشير المجتمع بصحتها وبضرورة اتباعها ، لا ان افضل شيئاً من ذلك وانما ساكني بلاخطة ان كتابات التزالي جاءت في زمن كانت الفلسفة والاشغال بها ، كما كان للمعنى التفكير الذي تخلفه هذه الدراسة ، عناصر مضطربة وخائرة ، فكان من اثر هذه الكتابات ان زادت في هذا الاضطهاد كما اعنت في ذلك القوي . اما ذلك الاثر الايجابي الذي كان لاحد كتب الامام ، ونعني به كتاب مقاصد الفلاسفة ، وما

يذهب البعض اليه من ان التزالي قد ألهم في زمن كان يحوي فيه الفلسفة ويدعو اليها ، فاني اظن ان ذلك فيه كثير من المراء ، حتى ولو صرح كاردافو انه كان لهذا الكتاب الفضل في ايهائه بعض المسائل الفلسفية التي صعب عليه تفهمها عند ازمة الاسلام ورغم اننا نقرر ان اثر هذا الكتاب من الناحية الايجابية كان معلوماً ، فاننا نرى ان مسألة القطع فيها اذا ألهم التزالي قبل الازمة او بعدها ، اي قبل حربه على الفلسفة او بعدها ، مسألة تحتاج الى التثبت من تاريخ كتابة هذا المؤلف ، التي ، الذي نحن وباحث الموضوع خلوا منه الان ، ونحن نميل الى الذهاب مع جمهور الباحث في ان التزالي لم يؤلف هذا الكتاب الا وبنيتة الرد على ما ورد فيه فيما بعد .

لنتقل الان الى علم الكلام لنلاحظ الطابع الذي امسكنا لكتابات مجدد الدين ان تتركه فيه . يقول كاردافو ان التزالي لم يتجرب نظاماً خاصاً في هذه المادة ، ولما يمكن القول انه قد طرد منها المشاحنات التي لا طائل تحتها ، كما حارب حب الاستطلاع الدقيق والمجرب الفعلي ، وكان همه ان يجعل الايمان يطنى على الناس فيعمر قلوبهم بفهم طمأن هادي . هنا يطبق لنا ان تقبال هل ظل المتكلمون اوفياء لهذه التعديلات التي رأى التزالي ان يمد بها من النشاط المتجدد الذي كانت تضطرم به قلوب ترويض الفكر آنذاك ؟ . . . انه من المقرر ان كتابات التزالي ظلت حتى هذه الايام المرجع في المسائل التي يجتأ ، ولكن هذا لا يعني ان علم الكلام قد نام بعده او رضع لهذا الحد من نشاطه وطرقه الذي ارادته عليه حجة الاسلام . . . لقد كان لنا بعد التزالي رسائل كلامية كثيرة وضعت على نحو يقرب من نحو الفلاسفة والمعتزلة اكثر مما يقرب من نحو التزالي . لقد كان المذهب الرسمي لاصحاب هذه الرسائل هو الاعتقاد السني الصحيح ، وكان هذا المذهب هو المقرر في رسائلهم ، ولكن روح هذه الرسائل لم يكن دينياً بوجه من الوجود ، انه يمكن بدون مثالة عند هذه الرسائل رسائل فلسفية لما احتوت من حجة سکولاستيكية ، ومن روح تحليلية تتركها من المعتزلة ، ومن انظمة الفلاسفة الذين اخذ هؤلاء عنهم .

من اصحاب هذه الرسائل نجم الدين ابو حنيفة عمر النسفي المتوفي سنة ٥٣٧ ، صاحب «الفوائد» ، هذا الكتاب وما عليه من شروح للفتاوي وغيره يدلنا بوضوح على ان الدينيات التي كان التزالي قد تزع عنها هذا الرداء الفلسفي عادت فظهرت بعده في ثوب لا يقل فلسفياً وتعلقاً بالحق من تلك الوسائل التي اظهر التزالي تعاليها في الجدل والجوع الى العقل . تجدي . هذه الرسائل ، كما

تجدي . معظم الرسائل التي كتبت لنفس الناية بقدمة يسمى صاحبها الى بيان فضل العلم وامكانه ، هذه المقدمة التي كانت تقابل تلك المقدمة المنطقية في كتب الفلاسفة المشايخين لاسطو على العموم ، ترجع بدون شك الى دوح افلاطونية غائتها الرد على السوفسطائية ، ولكي نقرر ان هذا يختلف ما اراده التزالي وما كان يرتأيه في الموضوع يكفي ان نقول انه ابتداء في كتابه المنفذ من الضلال بقدمة سعى فيها الى تقرير معيار للاعتقاد ، واكتفى بهذا السعي دون الذهاب الى تقرير صحة العلم وامكانه بل وجوبه ، التي ، الذي اجمع عليه كتاب الرسائل الدينية من بعده .

يخلص لنا من كل ذلك ان التزالي لم يصل الى ما يريد من طبع النتائج الكلامية بطابع الايمان ، كما لم يصل الى ما يريد من نزع هذه الثقة الفلسفية والجدلية عنه ، وهنا يجاؤ لنا التساؤل : لم لم ينجح التزالي في مساهمة ؟ . . . يجيل الي ان اخفاقه يرجع الى ابا . طبيعة الكلام ذاته لتقبل الاصطلاحات التي ارادها له امامنا . ان وجود علم الكلام لم يكن الاستجابة لرغبة شعربا مفكرو الاسلام في الدفاع عن دينهم تجاه الاديان والمعتقدات المسيرة له ، وكان عليهم ان يتسلحوا بنس السلاح الذي يصطنعه غيرهم وهو **الفنر العقلي والجدل والحجج** . اذن كان طلب التزالي من علم الكلام انما يتجذر عن هذه الدقائق الفلسفية وان يعتد على الايمان طلباً غير مقبول . لانه بذلك يكون بالاضط كمن يتزع من الحارب سلاحه ، ثم يزله من ساحة المعركة ، ثم يعتقد انه قد ترك له الحيار في خوض غمار المعركة .

وهنا ادري تساؤلاً قللاً يجار على الوجود ، تساؤلاً يتوي ويشد ثم لا يلبث ان يظهر واضحاً ويقول :

مالك تتكلم عن محاربة التزالي لعلم الكلام ؟ ألم تقرأ التهافت ، تلك الرائعة في الجدل السكولاستيكي ، ثم الا تشعر ان التزالي في ذلك يستحق ان يوصف بأنه اعطى العجاجة السكولاستيكية ، اقصى قوتها ونهاية شكلها ؟ الا تعتقد ان مكرونلد على حق حين يقول : انه اذا كان الاشعري قد ادخل الجدل والمنطق اليوناني الى الكلام بطريقة تقتدر الى الكمال فانه بما لا شك فيه ، ان التزالي قد اتم ما بدأ به ذلك الرجل ؟ . . .

هذا التساؤل القلق لم يكن الا دليلنا الى «الجامع العوام» عن علم الكلام .

انتهافت الفلاسفة هو نتاج كلامي من الدرجة الاولى بوانا اشعر بتعارض هذا الحكم مع ما ذهب اليه من رغبة التزالي في احاطة

الى تشيئه بكانت في هذه الناحية .

والان وقد وضع موقف النزالي من العقل والايان ، يمكننا ان نتكلم من اثره في العلوم الدينية والعلوم الدنيوية . ان مؤلفه الرئيسي في الدين هو الاحياء . في هذا الكتاب بعد النزالي الى تفصيل القيدة والواجبات والمحرمات تفصيلا يمكن ان يند مرجعا في الموضوع لمن اتى بعده حتى ايماننا هذه . وهو وان لم يكن من اصحاب المذاهب - اذ ان المذاهب كانت قد تقورت وتجلت مختلف المواقف التي يمكن ان تتخذ حيال التراث الاسلامي - فلانه بكتابته قد اوجد مرجعا مفصلا يعب منه كل من اراد ان يتبحر في دينه او يكتب ويؤلف فيه . انه موسوعة شاملة ، وبذلك فهو له فائدة الموسوعات واثره لا يخرج عن اثرها .

اما عن العلوم الدنيوية ان النزالي لم يؤثر عنه اشتغال جدي بحددها واذا كان له من اثر فيها ، فلما هو ذلك الاثر الذي كان يمكن ان تركه دعوته العامة .

ولما اثره في التصوف فقد كان على النزالي كاملا من العقاديين ، كما يلاحظ كارادوف ، ان يجارب في مادة التصوف من ينكر حقيقة التسوية والاتصال ، كما كان عليه ان يجارب الحلويين والقائلين بوحدة الوجود .

هذا الشيء الاول من جهة النزالي يذكرنا بهذا الضرب من المعرفة الذي اخذ به النزالي ، وهو القائل بأن الانسان يستطيع ان يصل الى الحقائق عن طريق الكشف . وموقف النزالي حيال هذه النظرية ، هو انه يكتفي بالاعتقاد بها ، واذا ما طلب منه اثباتها ذهب الى اثباتها بادلة من الدين وبشواهد من كبار المتصوفة دون ان يستطيع سبيلا الى اثباتها بالحجج والبراهين العقلية .

لو كان لنا ان نقرر مقدار نجاح دعوته الى هذا الضرب من المعرفة ، قلنا انه نجاح عظيم يكاد يكون شاملا اذا نظرنا الى بجمع الشعب . ودي يور يلاحظ ذلك ، فذاه يقرر ، عند كلامه عن نواحي الحياة الفكرية بعد النزالي ، ان عامة الناس اصبحوا متقادين لشيوخ الصوفية .

ولكن كم كان مدى نجاحه في محاربة غلاة المتصوفة النازعين الى القول بالطلول ووحدة الوجود ؟ . . .

ان استطلاع قائمة كبار المتصوفة بعد النزالي ، كما ان استعلاء نظرياتهم ودقائقها يدلنا على ان نجاح النزالي في محاربته للصلولية ووحدة الوجود لم يكن ذا اثر بالغ او انه لم يبع هذه التهمة بالرة . فابن عربي مثلا ، الذي است مجاجة الى اظهار تزعمته القوة الى

جناح علم الكلام ، واذا كنت اشعر بتعارض بين دعوة النزالي وبين تصرفه ، فاني ان اقرر دون محاولة إيجاد تفسير لهذا التعارض . اذا كان النزالي يصطنع في رده على الفلاسفة هذا النوع الراق من « الكلام » الذي بالحجج والردود والاداء ، فلم يدعو في مواقف متعددة من كتبه الاخرى الى تجريد علم الكلام من هذه النضجة العقلية ويطلب منه ان يقتصر على الايان ؟

يظهر ان النزالي حينما كان يدعو الى تعطيل علم الكلام ، انما كان ينظر الى تأثيره في عامة المسلمين ، ولا اقصد بعمامة هنا ، جهال المسلمين ، انما اقصد بها جمهورهم ، لقد رأى ان الكلام في صلبه الفنية الدقيقة ، وفي رجوعه الى العقل - واهيه فقط - لا يمكن له ان يوجد هذا الايمان والامانة في العقيدة الاسلامية . وبما زاده اندفاعا في حقه على تحويل الكلام عن الحسب الفلسفية العريضة ، وعن اعتماد العقل ، والعقل فقط ، رغبته في عبارة هذا الارتقاء ، في التمسك بعقيدة السلف ، ارتقاء قد يقوى فيحصل الى درجة الاغلال من ربة الدين والى الرندقة .

ولكن تجاه ذلك ، عندما كان يتوجه الى المختصين بالفلسفة ، والى اصحاب الايمان والمعتقدات التي تخالف الاسلام ، لم يكن يجد مانعا من ان يصطنع هذا النوع الراق من « الكلام » بكل ما يجويه من مداخلات واشكالات وبكل ما يمكنه من قوته الجدلية ومنطقه السام .

لقد رأى النزالي ان علم الكلام يستوجب تعلم المنطق ، ومن تعلم المنطق اصبح لديه فكرة ثابتة من صحته ونفعه كعلم ، كذلك علم الكلام يستوجب معرفة نظريات الفلاسفة والملاحدة واصحاب المعتقدات المخالفة للدين ، هنا شعر النزالي بالخوف على من تعلم المنطق ورأى صحته ان يظن في سائر اعدام الفلاسفة وتاهيمهم صحة المنطق ذاته ، وان يعبد الى اعتنائها والتسليم بصحتها ، لذلك دعا الى « الحزم العوام من علم الكلام » .

انه كان نفسيا اكثر من ذلك : فقد رأى ان وضع المسائل الاعتقادية موضع الشك وتجربتها من هذا الروح الاعتقادي المطلق ، توطئة لاثباتها بالبراهين قد يؤثر او هو بلا شك ، مؤثر على ايمان الناس ومزعمه ، واذا كان الامر كذلك ، فالنزالي يلاحظ ان قليلا ما تعود تلك الحالة الايمانية السابقة الى القلوب التي ترعزت فيها حقائق الدين .

هذا الموقف الذي يمتاز النزالي بين الايمان وبين العقل بين لنا هذا النوع من Antinomie عنده . التي . الذي دعا كارادوف

وحدة الوجود ، زاه يظهر ويفرض رأيه على كثير من المتصوفة .
كما نسمع ان القويوز ابادي وغيره من القضاة والائمة يجمعون على
تبرئة دفين دمشق من همة الإلحاد .

وهنا يجب ان نكون متصفين فنلاحظ ان دعوة النزالي في هذا
المضار في تذهب صرخة في وادى اذ لو لم يكن لها من اثر لما قام من
يؤيد ابن عربي الى جمع الفتاوى من المشايخ ليثبت ان ابن عربي كان
مسلماً ، ومسلماً معتقداً بالله وبرسوله وباليوم الآخر وبالقضاء
خيرته وشره .

اننا نلاحظ هذا ونحن لا يفوتنا ان هذه الهجاء ضد ابن عربي
وضد من ذهب مذهبه ، لم تكن من المتصوفة انفسهم بقدر ما
كانت من مسكر المشركين المحافظين .

والان وقد عرضنا لهذا الاثر الذي كان لحجة الاسلام على
المدارس بالاجمال ، اراكم وكأنكم تبادرون الى تقرير طائفة اثر
النزالي في هذه المدارس المختلفة . اذا كان اضمحلال الفلاسفة لا يرجع
الى النزالي بالذات او بالكلية ، واذا لم يتسكك المتكلمون بهذه
با ارادهم عليه واذا كان خلقه وابداعه في العلوم الدينية والدينية
ليس بالشيء الذي يدعونا الى اعتباره كاشية على التمسك الاسلامي
في اواخر القرن الخامس ، يملو كما يشاء ، وانما كان اثره في الهجوم
محدوداً ، فإين يوجد اذن تأثير النزالي ، على الدنيا وسائر
الناس . . .

ولم كان هذا الموضوع : اثر النزالي في المدارس المتأخرة ؟ . . .
كان ابو حامد يشغل حوالى سنة ٤٨٧ هـ منصباً علياً اجتماعياً
نادر المثال ؛ ولكنه شعر فجأة او اثر محاسبه لفسه بحاجة مألوفة ،
انه سائر في مسلك يبعده عن الله ورجاله ، لقد شعر بجود مهمل
يد اصابه الى حرارة الايمان في قلبه فيطوياً كسحاً ليصل مكانها
مقدرة فنية على رد الطبع ومقارعة الحشم وثبات الحقائق الدينية
بالدليل ، ثم رأى ان القوم قد اخذوا في احقرامه وتبجيله لدرجة
كانت نفسه معها تترك لجسها المجال فطعن وتبجير . رأى نفسه
مدعوا للاختيار بين الدنيا والآخرة ، بين القلي والاختيار ، فما
تردد في الاختيار وتطلع الى القرب من ربه فكانت له خاوات
بيت المقدس والشام والبلاد المقدسة : ساعات رغب فيها عن
النظريات والقياسات وانفس في مسالك الصوفية ومعارجها حتى
وصل الى ذلك الذي خلى الدنيا من اجله ، فاطمان قلبه وعودته
تلك الحرارة التي افترق ابا حامد زوالها عنه بوهة ما ؛ لذلك زاه
يهاجم الفلاسفة ويبطل معتقداتهم وفي سبيل النجاة في هذا

المجوم وهذا الابطال ارتكبت بعض الاخطاء . كما اوجد بعض
النواحي الزائدة في التفكير . وكان من اثر النزالي ولا شك ان
اضمن هذه السلطة التي كانت للعقل والتي كانت للتراث اليوناني
في الشرق .

ولكن هل منح النزالي في ادخال الايمان الى القلوب بواسطة
كتابه ؟ لقد كان النزالي صريح ازمة نفسية كما قلت . وكان
يكتفي لازالة هذه الازمة حل نفسي ، وانا اعتقد ان هذا الحل الله
نفسياً وذلك في تركه لهذا المنصب الرفيع الذي كان يشغله في بغداد .
انه في تلك العبادات والتشتات التي اخذ نفسه بها ، ولم يأنه من
تلك الكتابات التي عد فيها الى ابطال العقائد التي لم تستطع ان
تؤمن له تلك الراحة التي كانت نفسه تطمح اليها . ولا يجب ان
نسال اذا كانت هذه الكتابات قد ساعدت في ادخال الايمان الى
القلوب فهو لم يقصد بها ادخال الايمان الى القلوب . اذ كان يعتقد
ان الايمان له طرق اخرى في الدخول الى القلوب غير ابطال عقائد
الفلاسفة . كان يكتفي ان يشعر انه قد ازال حاجزاً من الحواجز
التي تقف بين القلوب وبين الايمان ، وان لم يستطع ان يجعل الايمان
يدخل الى القلوب بواسطة هذه الكتابات نفسها .

ولا يجب ان النزالي لا يدخل على الفلاسفة دخول منكر
لارائهم لا دخول مبهت لنظام جديد يقوم مقام نظامهم . اذ هو لو
فعل كتاب قد تعرض مع رساله انه كان يدور الى الايمان بالدين ؛
وليس لرجل هذه غايته ان يبعد الى تأليف نظام فلسفي ؛ عليه ان
يشغل بالدين وفي اظهاره للمظهر اللائق ، وقد فصل النزالي ذلك
فكان لنا ذلك الكتاب الذي هو الاحياء .

ولكن نحن ننظم النزالي اذا قصرنا رغبته في الرجوع الى
الدين والايمان والراحة ، على نفسه ؛ لقد كان همه الاول ان يدوي
نفسه . ولكن هذه الرغبة كانت تحمل في طياتها ذلك التوسع
الذي آلت اليه فيها بعد . انه شعر ، كما قلت ، بحاجة المسلمين
الى مقولعتهم ، شعر بضرورة الإصلاح وبضرورة الدعوة اليه
ومن هذا الشعور نشأت تلك الدعوة التي قام بها لاصلاح العقيدة
العاملة . انه لم يؤثر في المدارس الفكرية المختلفة شيئاً يذكر كمنحجب
تأثيره في مجمع المسلمين ، تأثيراً كان عليه ان يشترك كسكل ظاهرة
اجتماعية في ذلك التفاعل العلم لظواهر الاجتماعية ، فينعم بمساعدتها
حيثاً ويحتمل منوائها ومقاومتها حيثاً آخر .

زهى فتح الله

لسابا مدمجة صامتة ، متجراً عنها بافتنان محجب ، شديراً بالوانه التي كثيراً ما تنحكي الوانها ، الى مشاهدتها التي تتشكل وتبدل وتنتقل في نهاية معجزة .

فكان الفنان !

هذه كانت لم استحقا جزائياً ولم اسطرها إلا لعلي ان لاشي . في هذا الوجود ، يسيطر على العقل والمشاعر ليدركها ، صكافن . فالجمال يركتنا ويلبنا ويبدنا . وهو اخ اول للحقبة والحجة . والثلاثة يجمعونها هي كل ما تنوق اليه قوافل الطلأ السائرة قدماً في صداري هذه الحياة . وكانت الانسانية ولا تزال تكذب وتكسح لجمع شمل هذه المثلث الثلاث : ولها يوماً بالنها .

هذه خواطر اوحاها الي مرض الفنانين اللبنانيين الذي اقامته جمعية الفنانين اللبنانيين في غضون الشهر الفائت في دقة العرض بدار البرلمان بيروت ، فكانت ظاهرة فنية سر لها الكثيرون ، اذ انها لاقت من اقبال الجمهور وإعجابه ما كان مدهشة سارة ، لمنظمية ، فكان برهاناً على ان الجمهور اللبناني متزايد في ذوقه وتقديره للفن الجليل ، فتمامت بتكاثر للتفرج على ما ينتج به اليه نفوس الفنانين الذكية .

وحسبني اني رأيت من زار المعرض اكثر من مرة ، وهذا ما ضاعف في سرور العارفين . فاللوحة الفنية لا تطفي سرها ، ولا تدخلك الى روعها ، في مشاهدة واحدة ، والتفاعل الجمالي في النفس ، والاذنة الفنية النبيلة التي يجب ان تحدث عندما تطل على آية فنية لا يتان من الزرة الاولى . اذ ان الفنان يعبر في لوحة من الاحاسيس المتخلجة في ضميره ما يعجز عن انماه في كتاب . ولذا كان كثير من الذين زادوا هذا المعرض ، يعادون الكثرة لتذوق مشاهدة متجددين . كما وانه يمت لوحات متعددة لاكثر من فنان ، كبروخ وصليبا الدويهي ، وتاديا بيضون ، ابتاعها ولا ريب ارباب الهواية الفنية من ذوي الذوق الرفيع .

ولا بد من التليح من ان هذا المعرض ، بالرغم من نجاحه

صالحه اشدت مع المجتمع بدمي بوش فخرية ، هي مستوحاة الاواصر ، مستوحاة من افكارهم ، لا سيما في احدهم . كان ولا يزال . افكارهم التي تليق بالمشاهد والصور ، الحضارات ، تاجها ، وكما من مدفريات بائدة ، حوتها الصور ، فذهبت ذهاب الرياح ، وبقي فيها ، دالاً على ما كانت عليه من جذر سامع ، ورفعة باسقة وحضارة .

وبعد ، فقد ثابتي البعض من يرأوني ، انني اءلي في كلامي وأسرف في مقالي ، أو ابي احاول ان اجعل من الفنان احد انصاف الالهة . وظني ان هؤلاء ، وما اكثرهم لم تتأتى من نفوسهم الحيلة ، إشباع المثل السامية ، المحبذة للهدا ، المحببة للقلوب ، هؤلاء ، ون في الحياة ، مرور الاطراف ، . بلين في حانة تيار الصيف ، متراكين ، متلاحقين .

متلاحقين ، دون ان يقيموا لذنيهم شيئاً . « وقلوبهم ، كما يقول الدكتور منصور فني ، لا تشر بما تشر به القلوب ، فلا تفس الوان الجبال للتلصص : نفاهر الخلق ، ولا تتأثر بضروب الاحداث التي تحدث في هذا الوجود ، ولا تفتق لآيات الله في السموات ، ولا تفتق لآيات الله في

الارض ، ولا لآياته المطوية في كسر المصرد وغير المصرد . ونفوسهم حجة وراء ، سجوف من السواد ، لا يصل اليها ضوء الانوار المتلاذلة في نواحي الجبال ، ولا تاقبث فيها حرارة الاثبات بالتقدم والخير ، ولا يستمر منها قيس لئلا الهمة المتخفة الى الامام .

فهم عبي وان كانوا مبصرين .

وقد جاء في الاثر ان « ليس الاعى من عبي بصره ولكن من عبت بصيرته » فطوبى للذين تفتحت ابصارهم الى مرئيات الجبال ، فراحوا في حدائق الارض ، وفي قلوبهم قيس وفي عيونهم نور . فخالقوا القاطر ، مبدع الماين ، دحا الارض فوشاها ، في مجراها وبرها بايات من الجبال ، عجاب !

ولا كان لا بد لها من رسول لفنان ، صادق معجب كي ينطق عن



بريشة صليبا الدويهي

البيد

فالقن هو الدين الوحيد الحلو من التعب ، وهو القيدة الإنسانية البعيدة عن فوارق العناصر والوطنيات ، وهو واسطة الحضارة ومطلبها الاول الاخير .

ولعلنا صائرون الى ما نحن اليه راغبون .

واما المرض الذي كنا يصده فقد ضم لوحات فنية وبض المتحولات لاكثر من اربعين فناناً ، أخص بالذكر منهم ، الفنان مصطفى فروخ ، فقد اتخفا هذه المرة بسبع رسوم ، بينها صورة بليغة لشيخ درزي ، قوي المهابة ، كهل ولكنه عارم الرجولة . وهي بين اخواتها ، احدى الشار الفريدة التي ما يرح فروخ يتقطعا لنا من فنه الناضج ، وكان للفنان صليبا الدويهي ، تسع لوحات رئيسية ، منها صورتان ، احدها لامرأة كهلة والثانية لجلي شاب هما كناظرهما متيتا الرسم جيدتا التصوير ، غنيتان بالالوان الحية ، زاخرتان بالتعبير النفسي ، فنا الكهولة المثقلة بتجارب الحياة وهناك الشباب الساذج المتدفق ، ولما السيدة ماري حداد فقد قدرت بشخصية فنية لما طابها الحظ ولوحاتها غنية بالوان بلغت الغاية من الانسجام والحرارة . وكانت بجانبها مروحات جورج ب. خوري تسترعي انظار الزائر بآثارها وفرة جمالا . ولما الانسة بلانش عون فقد استغرقت اعجاب كثير من الزوار الاجانب والمواطنين ففنا الجديد ونفسته المبكرة .



بريشة الانسة بلانش عون

الرامي

قد ضم بجانب العناصر القوية ، اخرى ضعيفة ، لغايات الدهش بوجودها ولكن ابقت متناظلا ، ان الانسان لا يستطيع ان يقدر الجسد حق قدره اذا لم يكن التبع ، كما وانه لا يتكلم ان يشع من القوة اذا لم يجاورها ضعف . وكان لبعض المروضات السخيفة حكمة تدبرتها حين اوجبت نفسي امام القوة والبليغة منها . اما في المرض المقبل فتنتى من جملة الفنانين اللبنانيين ان تتر غريلا قليلا ، حتى يأتي مرضها عنوانا قويا ، صحيحا سليا ، رقيقا للاتعاش الفني الذي تسعى هذه الجميلة لتحقيقه في هذه السلاسل . كما وانه يلوي ان اشير ان ثمة فنانين لم يدايا بدلوها الجليل في هذا المرض وهم امر الانسي وقصر الجليل ، ولكل منهما في عالم الفن شخصيته المستقلة واللامعة ، وظني ان الرسالة التهذيبية لمرض جامع كهذا ، لن تكتمل بدونها . واذا اكتفيت بالاشارة الى ذلك فلعلي ان الجهود المتضافرة هي اوفر ثمرة اذ انها القوة المسيرة الى نجاح اكيد ، ثابت الدعائم . وأولى بالفنان ، اذا كان كذلك ، ان يترفع عن المنازعات ويتزده منها . فقد قال احد الكتاب : « ان ما يمتاز به الفن وما يجب ان تقدسه من اجله هو ان روحه روح انسانية محضة . اي روح نقاه ومجبة واتحاد .



بريشة جورج خوري

عاريه

للمرض ، والانسة ناديه

بيضون ، وغيرهما ممن قسام على اكتافهم اول معرض فني لبناني ناجح .

سامي محمد علي فله جي

الاديب المعتزل

بضم نونين من الشروني

مجاهد صرف شبابه وبعض كهولته يحترف مهنة الادب . لم يفارق مكتبه طيلة هذه الاعوام الا اماماً . ولم يتخذ له خليلاً غير اديب الكتب والصف والمجلات . ولم يأت عشراً غير القلم والدواة . كان يطوي الايام منطوياً على كتاب يقره ، او على مقال يدنيه . لا يؤم نادياً ولا يدخل ملهى ولا يحضر مجتمعا من مجتمعات الناس ولا عرساً من اعراسهم ولا مأتماً من ماتهم الا فنيا ندر .

وكان جديده ، ما عدا الصف والمجلات طبعاً ، كتاباً جديداً ' يقدم اليه او يعثر عليه في بعض المكتبات ، وادوات للكتسابة من اوراق واقلام وممداد كان يحكم المهنة يحتاج الى تجديدها بين القينة والقينة . لم يسر غور الناس ولم يتعمق في درس اطوارهم وسياساتهم وحرومهم الا بواسطة الكتب . ولم يتعرف الى شئ اغسبهم الا عن طريق الصف والمجلات .

وكان يميل اليه وهو جالس على مضخته وبين جدران مكتبه انه يعيش جميع ابناء عصره ، ويعرف من اموره ما لا يعرفه سواه . لا بل كان يعتقد انه يعيش كل الاجيال والبصر التي طراها الدهر . لان مكتبه مزدحم بانواع الكتب القيمة عامر بلقن المؤلفات وانفس التاريخ والموسوعات . حيث كان من خلال صفحاتها يتدبر حوادث العالم ومشاكله ويتقصى بجل شرائعه وعلومه .

اجل انه لم يقرب الناس الا بقر الخطوط المرشومة على الورق ولم يرصد عوالم افهامهم وغرائهم الا بمرصد الحوادث اليومية التي تتسابق الى فضاءها امواج الاثير والصحافة . لانه لم يعن شئ . في حياته الا بالاطاعة والتأنيب . فنبات تأكيته على جزالة اسلوبها وروعة بيانها ودقة انسجامها متمسة با كان يتجرأ في ذوات الكتب وما كان يعلق في نفسه من اخبار الصف وصوت المذيع . وبرزت احكامه مستمدة من معين الدرس لا من معين الحياة ودقة الملاحظة .

ومع هذا كان فخوراً الى ابد حد بسعة معارفه وتيقها بكل الشئ بؤلفاته التي غالج فيها غشاً كل المجتمع على ضوء دراساته ومطالعاته لا على ضوء تجاربه واختباراته .

وفجأة طرأ عليه مرض عضال اقعده عن متابعة الدرس والتأليف فآزم فراشه واستسلم الى معاملة الأطباء . وكانت المعدة بيت الداء . ومصدر البلا . وذلك لاعتراله في مكتبه وانعكافه الدائم على المطاعة والكتابة غير حافل بالرياضة والتزويلا تبعجالة الناس ومسامرتهم ليسري عنه بعض متاعب الذهن واسترخا الجسم .

ولما تخمدت دواته بعض الشئ . حتم عليه الأطباء . ارتداد الملاهي والمتزهات واستعمال الرياضة البدنية لاعادة قواه التي اسرف في تبذيرها بين الدفاتر والمطابع . وصرحوا له انه لن يتمكن من الحصول على الفاعهة التامة ما دام معتزلاً في برجه العاجي منعكفاً على منزلة الادب والعلم دون سواها .

فشرع يخرج من منزله ويصرف بعض نهاره متنقلاً في ضواحي المدينة وشوارعها . ثم بدأ يجالط الناس ويؤم نواديهم ويختلف الى مجتمعاتهم فتبين له فور احتكاكه بالمجتمع واستكناه بعض حقائقه : ان عالم الناس هو غير عالم الكتب .

اجل لقد تحقق بنفسه ان مخالطة المجتمع مصدر علم الاجتماع وما الكتب والصف والمجلات الا بنبابة المياه المستنقة من الاقنية لا من مصدر النبع ، فكما انها تلوث في جريانها بادران الارض وحوولها هكذا ما حبر وما كتب فلا ينبع من ادران الطبيعة البشرية وحوول غرائزها ، حتى ان الطبيعة با فيها من حيوان ونبات وجماد بعد ان تفقدها الاديب بنفسه رأى فيها من العجائب والمدهشات ما لم يره في معارض العلم ولا في روائع الادب ولوحات الفن .

صور جامدة كان بالاس يقلبها بين دفتي كتاب فيؤخذ بروعتها وجمالها وينسج على منوالها . وصور ناطقة يستعرضها اليوم في كل بقعة عن بقاع الكون فيجئ جنونه لاهاله ايها طوال اعمامه المنصرمة .

لقد بدأ يشعر بان الكون جسم حي يذب بقوة الروح ويتجدد بتجدد الحياة . اما الكتب فمواعيد جوفاء . تكتنفها برودة الموت غير انه بعد ان تدبر عوامل الحياة والموت رآها يحكم ناموس الكون صنين لا يفترقان فيحيث توجد الحياة يوجد الموت . وما الكون سوى مجرع مواد تنبجس منها عوامل الحياة والموت . هكذا رأى ناموس الادب والعلم تنبجس مواده من عالم الكون وعالم الكتب . فقال في نفسه : من لا يتحرى العالين ويمن في درسه لا يوضح علمه ولا يثبته ادبه . ونهض في الحال الى مؤلفاته التي كان يؤمن بخلودها وجها امامه ووضعها تحت منظار النقد . ثم شرع يقرب ما فيها من ميّزات الخلود . فرأها على ضوء اختباراته الجديده خاوية خالية لا روح فيها تنبعث من روحه ولا حياة تنبثق من حياته .

فطرحها عنه . ثم اخذ بعد قليل يجيها اكراماً اكراماً ويلقيها في النار ، مؤثراً ان يرى نتيجة جهاده الطويل لهما متصاعداً في قصة الهواء . ودخاناً متطائراً في حرمة القضاء . من ان يواها امامه مولداً عقياً لا رجاء منه .
وكم كان يمني الوصول الى مجل كتبه التي يتداولها الناس ليقضي عليها جيئاً لانه رآها لا تتبع من معينه ولا تعبر عن غشه ولا عن سميته . فهي ليست الا ترجيع اصديء ومجموعة تحب مما علق بذهنه من كثرة المطالعات والدراسات .
ويا ليتها تحب تطليق بجموعها على وقائع الحياة وحقائق الوجود .

فكم من الانظمة والثرائع التي كان يطالع عليها في بطون الاوراق فتستهوي بدائع آياتها . غير انه بعد الاستزاء والبحث لم ير لها اثر في قلب الجميع البشري . فهي لا تدور سطوراً محنطة بالجبر ومكتفة بالوق لا يعمل بها الناس ولا تطبق بالواقع على حياتهم .
وكم كان شغولاً ببعض الكتب الحديثة التي تبحث في روحانية الاديان وتقديس الاوطان وتدقق في علم السياسة والعمران وتقاخر بالادب والاجتماع وتعالى في وصف الحضارة ووفرة فضائلها . غير انه بعد ان عجم عود الناس تبين له ان معظمهم يستخدمون الرطان للتحكم والتفان والسياسة لديها والريا . والادب والاجتماع للتأطير والاستتاع والفران لمران الجيوب لا لمران الشعوب .

تأهيك عن حضارتهم ووفرة فضائلها فالتأها مشيدة على دعائم الآلة والنار والحديد لا على دعائم الدين والخلق والمبدأ الرشيد .
فقال في نفسه : ان عصراً تأهيك بالاديان وسواسه بالوطان ويتسابق علوه بختراع آلات التدمير وخطف الادواح ويقترام تجارعه على اجتناء الغائم واكتناز الارواح لا يبعد عصراً يشرف الانسانية كثيراً على بلوغ من سلم الحضارة والعلم .
لقد تجلّت امامه حقيقة روح العصر في عائلته ابناً العصرية . فكيف يقتضى له الوصول الى حقائق السلف وليس لديه من المستندات سوى ما ترويه الكتب والتواريخ التي تمر عن ميل واضمحاضتها اكثر مما تميز عن الوقائع الراهنة .

فاذا كانت الكتب العصرية التي في متناول يده مشحونة بالتكهنات والمغالطات ومملوءة بضروب التورية والحزبيلات فكيف الكتب القديمة ؟ انها ولا شك تسدل على الحقائق سجناً كثيفاً من سجب الاهراء والخرافات .

فكم في تضاعفها من سفاح يمجّد وعادل يذم وبغي يكرم وفيلسوف يهان ورجل يخطئ حقه واخر يحظى فوق حقه وهكذا .
لقد اجتمع مقتضاً لا بل مؤمناً على ان ما تستوعبه الذاكرة من المطالعة والندرس لا يعد كله ادباً صحيحاً او علماً راقياً او تزييناً حقيقياً لحوادث الانسانية في خلال العصور . ورأى نفسه يحتاج الى ان يتأدّب تأدّباً جديداً .

فشرع يدرس ويحصص ما يدرسه ، ويكتب ويدقق فيما يكتبه ، ويقارن بين وعي الذاكرة ووعي العقل ، وبين ادب التأنيد وادب التوليد ، وبين ما يجنّعه بنفسه في مطاوي الكون وبين ما يراه بين دفتان الكتب .

فتبين له ان الفكر هو مصدر المعرفة الانسانية ، واللغة منطوقه لسانه ، والنقد حجة وحياته ، وفهم الفكر عمق الادب والعلم ، وسخيف اللغة سخيف المنطق واللسان ، وضعيف النقد ضعيف الحجة والبيان .

اما الدماغ فاداة التفكير ، والمحلية قالة للتصور ، والذاكرة فستودع للتعبير . واختيار الدنيا ورودها من شتى مظانها يساعد الدماغ على تولد الابتكار ، والمريثات على اختلافها ، تسخّذ الخيلة على الابداع في قوة التصور ، وقراءة الكتب وتحييها تنعش الروح بالتأقافة وتعمر الذاكرة بشوارد اللغة ومفرداتها .

ومشى على هذا النحو في ادبه الجديدي يشق لنفسه طريق الخلود . وكان الداء الذي لم يبه هو الداعي لتعديل خطة حياته وجهوده ، وسبب تجديده وخلوده . فكم في الحياة الدنيا من شريور الخير ، ومن خير يورث الشر .
توفيق حسن الشرنوبلي

شاعر

لانت

جملة كشر نوار
وكان يبق منها المطر كورده
واسمها كان مباركاً كهذا الشهر الجليل
جاءها يوماً شاب خيخ
ضحك من زهوها
فزادها غرورا
قال لها :
انت اجل من نوار
وعطرك احب من ورده
واسمك شيء من الباء
فأنت يا قاله الشاب الخيخ
وركنت اليه
واخلص لها الشاب شهراً كاملاً كنوار
وفي اول حزيران تركها
اما هي فا زالت ترى أشهر السنة كلها كشر نوار
وما زال انها يبق برائحة المطر
وقد شيخ هذا الالف الدقيق
فشوه على دفته الوجه التاسع للمستدير
ونحني الايام
وشهر نوار لا تدارقها اياه
الى ان جاءها يوماً شاب بجاء ، ورد نوار
فقال لها : احبك
فضحكت من براءة العنونة الساذجة
ولم تميز العنوان في غشوش الشباب
ولم تنتقم اخلاصه
فقال لها : انا البنفسج بين اناطلك

لي الحمس الناعم ، وليس لي الشوك
فقال له : انا لا احب البنفسج
انا وردة ، وبني حبق الورد ، وشوك الورد
وضحك من العفل الشاب
ذهب العفل كسر العلب ، واقسم ان لا يراها
ولكنه اقسم ايضاً ان لا ينساها
وكان العفل شاعرًا مجهولاً
فأخذ يتشدد في الناس بأسمائه
فاستغيب شره كل الذين سمعوه
ولفت به المذاوي المبرم الصبر
فأحاطه المذاوي ، وكان يسمع ينشد
فيقفن له

ولكن قلبه كان مع تلك السيدة ذات الالف الدقيق
ويكي الكثيرون لغته ، وتناقها المذاوي همًا ،
وسكن يشرن اليه كلما مر ، او تراءى لمن
اما هو فلم يفل بأحد ، وظل مسترسلاً في تشيد ذلك الحب العفل
اما هي فا زالت تؤمن بنوار

وهي ورد نوار ، في اذنها ، حقيقاً لم يستشر به أحد من الناس
حتى ولا الشاب الخيخ
ولكن المذاوي رآين الشاب العفل يجمع ورقات وردة ، تنها الحريف
وكان العفل الشاب يكي غشوش وسكون
وهو يجمع تلك الورديات ويرفها الى فم ويبلها بشيء من التلديس
فيكت المذاوي لبيك العفل
الذي نسي الشعر
وأصبح شاعرًا كبيراً

الير الرب